فاطمة عبد الهادي

رحلتي مع الأخوات المسلمات

من الإمام حسن البنا إلى سجون عبد الناصر



دار الشروق

رحلتي مع
الأخوات المسلمات

الطبعة الأولى ٢٠١١

رقم الإيداع ٢٠١١/٣٦٨١
ISBN 978-977-09-3007-6

٨ شارع سيبويه المصري
مدينة نصر ـ القاهرة ـ مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
فاكس: ٢٤٠٣٧٥٦٧(٢٠٢) +
email: dar@shorouk. com
www. shorouk. com

فاطمة عبد الهادي

وكيلة أول لجنة نسائية في الإخوان المسلمين
وزوجة محمد يوسف هواش

رحلتي مع الأخوات المسلمات

من الإمام الشهيد حسن البنا إلى سجون ناصر

إعداد وتحرير
حسام تمام

تقديم
فريد عبد الخالق

دار الشروق

المحتويات

على سبيل التقديم

السيدة فاطمة عبد الهادي واحدة من مؤسسات قسم الأخوات المسلمات وأبرز قادته، كانت ضمن جيل التأسيس الأول للعمل النسوي الإسلامي، وإذا كان العمل النسوي قد بدأ ولو خجولا بعد سنوات قليلة من تأسيس الجماعة بالإسماعيلية وقبل انتقالها للقاهرة (وتحديدا في إبريل ١٩٣٢) وعرف بعضا من النشاط مع الانتقال للعاصمة على يد السيدة لبيبة أحمد؛ فإنه شهد انطلاقته في إبريل ١٩٤٤ مع إطلاق أول لجنة تنفيذية للأخوات المسلمات بأمر من مؤسس جماعة الإخوان الشيخ حسن البنا وبإشراف محمود الجوهري، وهي اللجنة التي ضمت اثنتي عشرة أختا برئاسة السيدة آمال العشماوي وكانت وكيلتها السيدة فاطمة عبد الهادي.

وفاطمة عبد الهادي زوجة لشخصية بالغة الأهمية رغم عدم شهرتها (محمد يوسف هواش)، ولربما كان أهم شخصيات تنظيم ١٩٦٥ الشهير الذي ينسب للمفكر الشهير سيد قطب فهو فضلا عن كونه رفيقه سنوات السجن ثم الإعدام يمكن النظر إليه باعتباره عين قطب التي رأى بها جماعة الإخوان واليد التي قادته، وهو القادم من خارجها إلى دهاليز الجماعة ودروبها التي كان صعبا التعرف عليها في حقبة الخمسينيات والستينيات من القرن السابق زمن الملحمة الدموية الكبرى إبان حكم الرئيس جمال عبد الناصر.

السيدة فاطمة عبد الهادي شاهدة عصر بكل ما تعنيه الكلمة، فهي ممن شاركن في وضع اللبنات الأولى في بناء قسم الأخوات المسلمات؛ ذلك العالم الذي ما زال بعد ثلاثة أرباع القرن مجهولا في تاريخ الإخوان المسلمين والحركة الإسلامية عموما، ولم يظهر منه إلا القليل من سطحه الساخن بل والمتفجر عبر الحاجة زينب

الغزالي؛ التي ملأت الدنيا كرمز للعمل النسائي الإسلامي وشغلت الناس بسيرتها ذائعة الصيت (أيام من حياتي) عن التاريخ الحقيقي وغير المكتوب للحركة النسائية الإسلامية الذي يمكننا القول إن شهادة فاطمة عبد الهادي تصلح بداية لكتابته وبخاصة الجانب الاجتماعي منه.

وحياة فاطمة عبد الهادي وتاريخها يتقاطع مع أهم المحطات والأحداث والتحولات التاريخية للأخوات وللحركة الإسلامية عموما، كما يتصل بأهم الشخصيات المركزية في تاريخ العمل الإسلامي في مصر والعالم العربي. كانت فاطمة عبد الهادي من أقرب الناس إلى بيوت قادة الإخوان ورموزهم التاريخية، فهي عرفت الإمام الشيخ حسن البنا مؤسس الإخوان عن قرب واتصلت بأهله وزوجته وبناته، بل وكانت المرأة الوحيدة من غير أهله التي عاشت ساعات اغتياله وكانت حاضرة ساعة غسله وخروج جنازته من بيته. كما كانت وثيقة الصلة بنساء آل بيت حسن الهضيبي المرشد الثاني، ونساء بيت سيد قطب أبرز مُنظّري الجماعة بعد مؤسسها، عاشت معهن محنة اعتقال الرجال وأزمة بيوت الإخوان التي خلت من العائل، ثم عاشت معهن محنة الاعتقال مع خمسين من نساء الإخوان في السجن، وكانت شاهدة وفاعلة في أهم عطاء للنساء في العمل الحركي الإسلامي.

وبحكم رفقة زوجها لسيد قطب طيلة سنوات الاعتقال التي قضيا معظمها في مستشفى السجن كان لشهادة فاطمة عبد الهادي على أهم مفكري الحركة الإسلامية في نصف القرن الأخير أهمية استثنائية، فهي عرفته عن قرب من خلال العلاقة الخاصة بين زوجها وبينه، كما اقتربت من حياته الخاصة مرة عبر علاقتها بشقيقاته ومرات باللقاءات المتكررة أثناء زيارتها لزوجها رفيقه في المعتقل والمستشفى والتي وصلت إلى أن صارت موضع ثقته ووسيطه في مشروع زواج لم يكتمل!

إن شهادة فاطمة عبد الهادي على قضية تنظيم ١٩٦٥ الذي صار العنوان الأبرز في تاريخ العلاقة بين الإخوان والدولة شهادة فريدة واستثنائية ليس فقط لقربها بل واتصالها بكثير من وقائع القضية وتفصيلاتها، بل لأنها كانت من أبرز ضحاياها، فقد عاشت تجربة السجن بنفسها ثم كان زوجها ثالث ثلاثة نُفذ فيهم حكم الإعدام!

تمثل رواية السيدة فاطمة عبد الهادي إحدى الشهادات المجهولة في تاريخ الحركة الإسلامية التي سعيتُ لجمع أهمها والمسكوت عنها ضمن سلسلة تاريخية. وتغطي شهادتها فترة مهمة في تاريخ الحركة الإسلامية تمتد لأكثر من ثلاثة عقود تبدأ من نهاية الحرب العالمية الثانية مرورا بقيام ثورة يوليو ونهاية الملكية في مصر وتتسع فصولها للحقبة الناصرية وسنوات مهمة من بداية حكم الرئيس السادات.

وأهم ما يميز شهادتها النادرة أنها تقدم روايتها الخاصة جدا حتى وهي تحكي عن أحداث ووقائع شكلت تاريخ الإخوان بل ومصر كلها في مرحلة تاريخية بالغة التعقيد وتروي علاقتها بأشخاص غيّروا مسار التاريخ بعضهم انتهى إلى الموت شنقا وبعضهم صار رئيسا للجمهورية، إنها رواية شاهد عيان وشاهد ملك أحيانا حين تشارك في الأحداث، وهي لا تلجأ كما فعل آخرون إلى التوسع والمبالغة وربما الخيال أحيانا حتى وهي تحكي مأساتها الخاصة ومعاناتها وأسرتها الصغيرة؛ ابنتها وابنها الصغيرين اللذَيْن عاشا محنة اعتقال الأم وسجن الأب سنوات طويلة ثم إعدامه!

وعلى عكس روايات الآخرين. زينب الغزالي مثلا، تبدو رواية فاطمة عبد الهادي للصراع الكبير بين الإخوان والثورة أقرب للقبول كشهادة تاريخية، فلم يكن ما عاشته فاطمة عبد الهادي بحاجة إلى العواطف المتأججة، أو الخيال ربما، ليقتنع القارئ بأنها كانت مأساة كبيرة عاشها الإخوان في العهد الناصري.

أهم ما في شهادة فاطمة عبد الهادي أنها لم تكن سياسية محضة، بل تحكي فصولا مهمة في التاريخ الاجتماعي لحركة الإخوان المسلمين التي ما زال وجهها السياسي غالبا على وجوهها الأخرى التي تغيب إلا قليلا في كل الشهادات والمذكرات التي تتناول تاريخ الإخوان.. إن قراءة مسيرة فاطمة عبد الهادي في جماعة الإخوان يصلح مفتاحا لفهم ما جرى في تحولات مهمة في الحياة الاجتماعية في مصر طوال نصف قرن، وبعض هذه التحولات ما زلنا نعيش فصوله التي لم تكن بدأت وقتها بعد.

تضع شهادة السيدة فاطمة عبد الهادي أيدينا على المفتاح الأهم لكثير من التحولات المهمة في تاريخ العمل النسائي الإسلامي أو العمل الدعوي المتوجه للمرأة عموما، والتي كان أهمها على الإطلاق التحول بحركة الأخوات المسلمات من حركة اجتماعية

دعوية إلى حركة سياسية أيديولوجية، وهو التحول الذي كان بتأثير تحول أوسع جرى لحركة الإخوان المسلمين عموما.

سنكتشف كيف كانت الأخوات المسلمات في البداية عملا دعويا اجتماعيا بالأساس يهدف إلى الحض على تحقيق العقيدة الصحيحة والالتزام بمكارم الأخلاق والقيام بأعمال البر ومساعدة الفقراء والمحتاجين وجمع الزكوات وتوزيعها..قبل أن ينغمس سريعا في السياسة، ربما بقوة دفع الأحداث الكبرى ومن ضمنها المواجهة مع نظام ثورة يوليو، وتتحول إلى جزء من حركة أيديولوجية غارقة في كل معاني السياسة وطقوسها ورموزها.

سيتوقف القارئ كثيرا عند قضية الحجاب بكل ما لها من رمزية في الحركة الإسلامية المعاصرة الآن، بل وفي فضاء التدين والحياة الاجتماعية في مصر عموما، وسيفاجئه كيف كانت، تقريبا، غائبة حين كانت الأخوات المسلمات حركة دعوية اجتماعية قبل الغرق في الصراع السياسي والانزلاق لفخ الأيديولوجيا الذي تحول معه الحجاب إلى أيقونة تختزل كل معاني الفضيلة والإيمان.. لقد كان التحول بالحركة الإسلامية، والنسائية منها خاصة، لحركة سياسية أيديولوجية بحاجة إلى رموز كبرى، وكان في الحجاب، ثم النقاب الآن، كل المواصفات المطلوبة!

إن التعمق في قراءة هذا التحول يكشف لنا لماذا توارت عن واجهة الحركة الإسلامية في السبعينيات رموز نسائية بالغة الأهمية والعطاء مثل فاطمة عبد الهادي أو آمال العشماوي مثلا في حين تصدرتها شخصيات مثل زينب الغزالي، لقد كانت الأخيرة عنوانا صارخا لاكتمال تحول الأخوات المسلمات من العمل الدعوي الاجتماعي إلى العمل السياسي الصارخ، حيث الصراع الأيديولوجي وعناوينه ورموزه الفاقعة.

وأخيرًا؛ فما كان لهذه المادة التاريخية المهمة أن تخرج للنور لولا الطبيعة الخاصة وربما الاستثنائية لشخصية صاحبة هذه الشهادة السيدة/ فاطمة عبد الهادي، التي تحملت، على كبر السن، مشقة جلسات طويلة من الحكي والمراجعة لأحداث ووقائع تاريخية مضى على بعضها ثلاثة أرباع القرن! لقد كانت نموذجًا للجَلَد والقوة ورحابة الصدر أيضًا؛ فلها الشكر والتقدير، وكذلك للأستاذ أحمد عبد المجيد الشكر على

كرمه وفضله في إعداد هذه الشهادة. الأستاذ أحمد عبد المجيد هو زوج ابنة السيدة فاطمة عبد الهادي، وهو أيضًا رفيق زوجها الأستاذ محمد يوسف هواش في السجن، وكان يمكن أن يكون رفيقه أيضًا في الشهادة لولا لطف الله الذي قدر ألا ينفذ فيه حكم الإعدام ليبقى شاهدًا على هذه الملحمة.

لقد أثرى الأستاذ أحمد عبد المجيد هذه الشهادة، وكانت لملاحظاته أهمية كبيرة خصوصًا فيما يتصل بتدقيق بعض المعلومات والوقائع.

ولا يفوتني أن أشكر الصديق العزيز الباحث اللغوي والتاريخي المدقق الأستاذ محمد عبد اللطيف الذي تابع هذه الشهادة في كل مراحل إعدادها وتكرم بمراجعتها وإبداء ملاحظاته عليها، ودائما ما كانت مفيدة.

والحمد لله رب العالمين

حسام تمام

تقديم

بدأ اهتمام الإمام الشهيد حسن البنا بدعوة النساء مبكرا، تقريبا مع بدء تأسيسه لجماعة الإخوان المسلمين بمدينة الإسماعيلية، وقبل انتقاله بها للقاهرة، كانت البداية بنساء الإخوان من أخواتهم وزوجاتهم وبناتهم، ولكن لم يكن هناك في البداية دعوة خاصة بهن ولا هيكلية داخل الجماعة، بل كان مجرد تواصل غير منظم ولا يتبع قسما بعينه، لكن مع تزايد أعداد الأخوات واتساع حضورهن تطور الأمر لاحقا بتأسيس قسم خاص للأخوات له هيكلية عمل ولائحة منظمة مثل بقية الأقسام الأخرى كالطلاب والعمال.

الطريف أن النشاط الدعوي الذي جذب كثيرا من زوجات وبنات الإخوان لم يجذب زوجة الإمام حسن البنا صاحب الدعوة، كان الرجل قد تزوج بطريقة تقليدية، فاختار ابنة عائلة الصولي؛ وهي إحدى العائلات الكبيرة في مدينة الإسماعيلية، وكانت لها ثقل اجتماعي كبير، وكانت زوجته سيدة كريمة الأصل والأخلاق، لكنها كانت بعيدة عن نشاط زوجها تماما، تفرغت لتربية أبنائها تربية حسنة، ولم يكن لها يوما نشاط مع جماعة الإخوان أو حتى في حضور دروس الأخوات، وكان الإمام البنا يمازحني أحيانا فيحكي لي كيف أن زوجته تذهب لشيخ المسجد لتستشيره في بعض الأمور الدينية ولا تسأل زوجها!

وأتذكر أن بدء النشاط الكبير للأخوات كان في بداية الأربعينيات؛ وهي الفترة نفسها التي تعرفتُ فيها على الإمام البنا والتحقتُ بجماعة الإخوان المسلمين، لقد كانت فترة ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية والتي تزامنت معها حركة واسعة بين الشعوب الخاضعة للاستعمار والباحثة عن حلم الاستقلال، كانت فترة نشاط واسع لكل الشعوب ومنها الشعب المصري، وقد وصلت الحركة الوطنية بكل أطيافها

وتلوناتها إلى عنفوانها، وكان صعود الحركات النسوية باختلافها جزءا من هذا السعي نحو الاستقلال، وكانت فترة مناسبة ومؤثرة في إحداث نقلة واسعة في نشاط الأخوات داخل جماعة الإخوان التي كانت في صعود كبير.

وإذا كان هناك بيت يُنسب له الفضل الأول في حركة الأخوات المسلمات فهو بيت السيدة آمال العشماوي. لقد كان أحد بيوت الثراء والسعة في جماعة الإخوان المسلمين، فوالد آمال هو محمد العشماوي باشا وزير المعارف، وزوجها هو منير دلّة المستشار بمجلس الدولة، وكان البيت وسيعا وفسيحا وبه من الإمكانات ما يجعله قادرا في أي وقت على استقبال الناس والقيام بضيافتهم على أفضل وجه، وهناك بدأت دروس الأخوات الخاصة وأنشطتهن، وكنت ممن يحضر لإلقاء الدروس عليهن، وكان معنا الأستاذ البهي الخولي العالم والمربي الجليل، وكان مسئولا وقتها عن قسم التربية بالجماعة، وكانت محاضراته مؤثرة وقوية تركز دائما على أمور العقيدة والعبادة ونشر الوعي الصحيح عن الإسلام، ومما أذكره أن بيت آمال العشماوي كان راقيا وبه علامات الثراء والوجاهة.. ومنها تماثيل تزين أنحاءه، ولما تكلم البهي الخولي عن حرمة التماثيل وحرمة اقتنائها قامت آمال العشماوي فجمعت كل التماثيل وألقت بها خارج البيت.

ومع دروس العقيدة والأخلاق كان هناك تركيز على الأبعاد الاجتماعية من رعاية الفقراء ومساعدة المحتاجين وجمع الزكاة وإنفاقها في مصارفها الشرعية، وكان موضوع الزكاة ومصارفها الشرعية من أهم موضوعات دروس الأخوات وقتها، وكان من أبرز أنشطتهن في هذه الفترة نسج الملابس التي كانت تذهب للمتطوعين في حرب فلسطين وأهلنا في فلسطين بعدما بدأت حرب العصابات الصهيونية هناك، فقد كانت الأخوات يغزلن الملابس الصوفية كمساعدة عينية للمتطوعين وللاجئين.

وقد ظهر هذا الدور جليا مع بدء سلسلة المحن والاعتقالات التي تعرضت لها الجماعة في العصر الملكي أو بعد قيام الثورة. لقد كان قسم الأخوات المسلمات من تولى رعاية أسرنا وقت غيابنا في السجون والمعتقلات، فكانت الأخوات يجمعن التبرعات ويدبرن نفقات البيوت التي غاب عائلها، وكن يوفرن الحاجات الأساسية لأي أسرة سُجن عائلها أو فرّ هربا من الاعتقال؛ فقد كان الإخوان المعتقلون أو المسجونون يعانون وقف المرتبات ومصادرة الدخول. وقد حكت لي زوجتي السيدة كوثر الساعي كثيرا عما كانت الأخوات

يفعلنه لمساعدة أسر المعتقلين والمسجونين، وكانت رحمها الله تساعد الأخوات في هذا العمل، بل كانت قد شملت برعايتها أسرة أختي سعاد بعد سجن زوجها، وكان يساعدها وضعها الاجتماعي الميسور الذي لم يتأثر كثيرا باعتقالي وسجني؛ فقد كانت من أسرة ميسورة تعمل بالتجارة، كما كان أخوها الأكبر أستاذا جامعيا في وضع اجتماعي مميز، فلم يتأثر وضع أسرتنا ماديا بغيابي رغم التضييق على الأرزاق، وكانت رحمها الله لا تقصر في مساعدة الأخوات في أعمال الخير والنشاط الاجتماعي رغم أنها لم تكن منخرطة كثيرا في نشاط الأخوات، فقد تفرغت للبيت ورعاية الأبناء، وكان أهم نشاطها حضور الدروس الدينية وبخاصة التي يلقيها الإمام البنا في مركز الجماعة، والمشاركة في أعمال الرعاية الاجتماعية، وأذكر أنني لما نظمت قصيدة تأثرا بما فعلته زوجتي وبقية الأخوات أثناء محنة السجون والاعتقال، وقد أسميتها «بيوت في المحنة» وفيها قلت:

كانت تشجع غيرها في سجننا | بالصبـر توصي واقتسام اللقمة

لما الرواتب والمعونة صودرت | صبر النساء على البلاء وعفت

كانت بستـر اللـه تعـبر عيشها | لا تسأل الأغيـار خيـط الإبـرة

أذنـــاي قد سمعتا من الحراس إبــــــان الزيــارة مدح أهـــل الدعوة

ولقـد أسـر إليّ قائـــد سجننـا | حسـدا لنجح بيوتنا في المحنة

أعظـم بدور نسائنا في المحنة | كـنّ القلائـد زنّ جيد الصحوة

تأريخ دور نسائنا زمن السجون | يحقـه التسجيـل دون مريـــة

إن كان قد حمل البلاء رجالنـا | فنساؤنا في الحمل أرجح كفـة

من حـق أجيـال ستأتـي بعدنـــا | أن يعرفوا الماضي وأنصع صفحة

ومما يستحق التوقف عنده الآن عن هذه الفترة أن الدروس التي كنا نلقيها والنقاشات التي كانت تدور بين الأخوات كانت تركز على الأصول المتعلقة بالعقائد والقيم والأخلاق وقواعد السلوك وأسس بناء الأسرة الصالحة والمجتمع الصالح، فيما كان اهتمامنا قليلا جدا بالشكل والمظاهر حتى فيما يخص المرأة. فلم نكن نتكلم وقتها كثيرا عن الأزياء وشكلها، كنا نتكلم عن الاحتشام والتزام القصد في الملابس وتجنب

العري والابتذال وكل ما يتصل بهما، لم تكن قضية الحجاب وشكله ولونه وطوله أو قصره تشغلنا كثيرا وقتها، فقط كنا نحارب مظاهر العري والابتذال ولكن لا نتوقف كثيرا عند الشكليات والمظاهر.

كانت قضية الحجاب غير حاضرة في زمننا هذا، مثلا كانت أختي سعاد غير محجبة، وحين خطبها صلاح شادي لم تكن محجبة، وظلت هكذا فترة حتى تحجبت، فيما كانت زوجتي كوثر الساعي أسبق منها للحجاب، كان يكفي الإيشارب أو غطاء الرأس، وكانت الأخوات كلهن محتشمات بعيدات عن التبرج والابتذال، أما النقاب فلم نسمع به وقتها أبدا..وأستطيع القول إننا لم نشهد حالة نقاب واحدة ولم نسمع بمُنقبة أو نر أختا من الأخوات ارتدت النقاب إلا بعد التغيرات التي شهدتها مصر في حقبة السبعينيات من القرن العشرين مع بداية دخول نمط التدين الوهابي القادم من الخليج؛ والغريب تماما عن نمط التدين في مصر ولدى الإخوان المسلمين أيضا، فلم يكن لدينا في مصر هذه الحالة من الاهتمام بالشكليات كعنوان على التدين، ولم يكن الإمام البنا يهتم كثيرا بالتدين الشكلي، وما زلت أذكر واقعة له مع الأخ محمود سليمان وكان أحد إخوان كلية الطب، فقد كنت مع الإمام في المركز العام للجماعة وأثناء خروجنا من المكتب قابلنا الأخ محمود وكان قد أعفى لحيته فبدا شكله غريبا ومختلفا عما كنا ألفناه، فلما رآه الإمام بادره محمود قائلا: لقد أصبتُ السنة. فرد عليه الإمام: أصبتَ السنة وضيّعتَ الفرض! اذهب واحلق لحيتك وتعال معنا..أريدك مثل زملائك في الكلية الذين تدعوهم..لا يمكن أن تؤثر في الناس وأنت غريب عنهم! لقد كان الإمام البنا يرفض أن نتميز عن الناس بلباس أو هيئة حتى نظل جزءا من المجتمع.

كان الأستاذ محمود الجوهري أول رئيس لقسم الأخوات مكلفٍ بمتابعة نشاطهن وربطه بالجماعة، وكان أبرز من تولى هذه المسئولية، وكانت زوجته السيدة أمينة محمد، وعرفت بأمينة الجوهري، تساعده في هذا العمل، وكان صلة الوصل بين الأخوات وبين الإمام البنا الذي كان كثيرا ما تمنعه أعباؤه ومشغولياته الكثيرة عن الحضور وإلقاء المحاضرات الخاصة للأخوات، وكانت الأخوات يعوضن ذلك بحضور الدرس العام للإخوان كل يوم ثلاثاء؛ وهو الدرس الشهير الذي كان يحاضر فيه الإمام البنا في مقر الجماعة بالحلمية.. وعرف بحديث الثلاثاء.

والحق أنه رغم انفراد الأخوات بقسم خاص لهن إلا أن علاقتهن بالإخوة لم تكن متوترة أو متشنجة على النحو الذي يمكن أن نراه الآن في التجمعات الإسلامية، إذ لم يكن هناك فصل حاسم وعنيف بين الأخوات وبين الإخوة، كان الحياء هو أساس العلاقة الحاكم لها، وكان المجتمع بطبيعته محافظا؛ مسلما أو مسيحيا، ولم يكن يميل للابتذال، وما كانت به ظواهر التحرش أو المعاكسات، بل كان مجتمعا ناضجا في تصوره للعلاقة بين الجنسين، أقرب ما يكون للقيم الأخلاقية الإسلامية الحقيقية والعميقة وليست الشكلية أو المفتعلة.

أذكر مثلا أنني كنت أُدرّس مادة الرياضيات لابنة الإمام البنا «وفاء»، كنت أُدرّس لها المادة في المدرسة الثانوية باعتباري مدرس رياضيات، وكنت أدرس لها أيضا في بيتها، ولم تكن هناك مشكلة أو حساسية أن أتردد علي بيت الإمام البنا وأُدرّس لابنته وأنا شاب في بداية الثلاثينيات من عمري، كنت أدخل البيت وأُدرّس لها، وكان الإمام ينشغل أحيانا في عمل مما تزخر به مسئولياته الدعوية، وما أكثرها، وكان إذا حضر وقت الغداء نادى عليّ وتناولنا الغداء معا. لقد كانت الحياة بسيطة بلا تكلف ولا عقد، وكانت تربية العائلات ترسخ فينا معاني الفضيلة والاحترام والنخوة، كما كنّا مشغولين وقتها بهموم أكبر كالدعوة والنشاط في الحركة الوطنية، وما كان يخطر ببالي ولا بال أبناء جيلي الاهتمام بأمور تافهة أو شكلية، حتى إنني لا أتذكر شكل وفاء بنت الإمام البنا ولا أتذكر إذا ما كانت وقتها ترتدي غطاء رأس أم لا. رغم أنني فكرت أن أتزوج بها..وأذكر وقتها أنني فاتحت الإمام البنا بشأن الزواج بها فسألني إذا ما كنت أطلبها هي بشكل خاص لعاطفة عندي أم مجرد زواج، ولما علم أنني فقط أفكر في الزواج بها لاعتبارات كرم الأصل وطيب الخلق وأن ليس في عاطفتي شيء خاص لها اعتذر بلباقة، وقد كان رحمه الله أحرص ما يكون على مشاعرنا، وقد فهمت وقتها أنه ربما كان أحد الإخوة قد سبقني إلى طلبها، وهو الأمر الذي يبدو أنه وقع فعلا؛ فقد تزوجها فيما بعد الأخ الكريم الأستاذ سعيد رمضان، وكان من أكثر تلامذة الإمام البنا نجابة وقربا منه.

وحين أكتب هذه الكلمات فلا بد أن أذكر السيدة الكريمة فاطمة عبد الهادي، وأذكر لها فضلها وجهادها في دعوة الأخوات المسلمات، فهي من أوائل من بدأن الدعوة

ونشطن فيها، كما كان لها دور كبير في كل مراحلها سواء في فترات التأسيس والنشاط الأول أو في زمن الاعتقالات والسجون، وقد كانت ممن دفعن ضريبتها باعتقال زوجها الأستاذ محمد يوسف هواش الذي اعتقل فترات طويلة مع الأستاذ سيد قطب ثم أعدم معه أيضا، رحمهما الله رحمة واسعة، كما دفعت الضريبة باعتقالها هي نفسها عدة شهور مع عدد من فضليات نساء الإخوان. وقد عرفتها أثناء ترددي على قسم الأخوات لإلقاء الدروس والمحاضرات، وقد سعيت زمنا للالتزام بهذه المحاضرات لكنني انشغلت في أعمال وأعباء أخرى حالت فيما بعد دون مواظبتي على الحضور، فقد كنت مسئولا عن قسم الطلاب ثم رئيسا لقسم الخريجين بالجماعة، كما كنت عضوا بالهيئة التأسيسية للجماعة وعضوًا بمكتب الإرشاد، ولم أكن أفترق عن الإمام البنا إلا نهاية اليوم، لذا تباعدت صلتي بنشاط الأخوات وإن ظللت أتابع أخباره ونشاط الأخوات، وقد كانت السيدة فاطمة عبد الهادي من أكثر الأخوات نشاطا وجهادا.

وأعتقد أن شهادة الأخت فاطمة عبد الهادي تمثل إضافة كبيرة لفهم تاريخ الأخوات المسلمات، فلم يكتب عنه بشكل موسع من قبل، كما أن معظم الاهتمام انصب على فترة الستينيات وما بعدها وربما تركز على السيدة زينب الغزالي فقط نظرا لدورها في هذه المرحلة، رغم أن السيدة زينب الغزالي لم تكن مع الأخوات وكان لها جمعيتها الخاصة (السيدات المسلمات)، وكانت علاقتها بالإخوان من خلال زوجها الحاج محمد سالم الذي كان رجلا متدينا نشيطا مع الإخوان، لكن نشاط زينب الغزالي ظهر بسبب دورها في تنظيم ١٩٦٥ الذي كان يخطط لبناء خلايا سرية لتغيير النظام، وكانت قد تعرفت على الشيخ عبد الفتاح إسماعيل والأستاذ عبد العزيز علي؛ وكان وزيرا سابقا، ثم الأستاذ سيد قطب، وبسبب دورها في هذه المرحلة صارت رمزا وعنوانا للعمل النسوي الإسلامي.

إن شهادة السيدة فاطمة عبد الهادي عن الأخوات المسلمات، والتي حررها الأستاذ حسام تمام تقدم صفحة مشرقة وغنية بالعطاء والأسوة الحسنة، وهي صفحة كانت مجهولة تكاد تضيع من تاريخ الحركة الإسلامية في مصر، فجزاه الله خيرا على حفظها ولصاحبتها الثناء والتقدير.

فريد عبد الخالق

قصة تأسيس قسم الأخوات المسلمات والنشاط النسائي في الإخوان

ولدتُ لأسرة تقليدية تحمل سمات وطباع المجتمع المصري المسلم المتدين بالفطرة، كان أبي صعيديا من مركز المراغة بمحافظة سوهاج في صعيد مصر، والصعيد هو موطن القيم والتقاليد المحافظة، وقد كان جدي لأبي ـ الشيخ إبراهيم ـ رجلا متدينا وكان صديقا حميما للشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر الشريف.

كان أبي يعمل موظفا في وزارة الأوقاف، وكان يجلس معنا عصر كل يوم بعد الصلاة مباشرة ويحدد لنا حديثًا نبويًّا من صحيح البخاري ويشرحه لنا ثم يكلفنا بحفظه وفهمه، ولكن للحق فلم يكن ذلك ليلامس شغف قلوبنا إذ كانت قراءة بلا تأمل أو تدبر ولم تكن لتنعكس على سلوكنا، فلم أكن ـ مثلًا ـ أرتدي الحجاب بل كنت مثل بنات جيلي نلبس ملابس قصيرة، وكان أقصى ما نفعله أن نضع الإيشارب عند أداء الصلاة، وإن كنا نحرص على الالتزام بالأخلاق وعدم الابتذال.

ولدت في ٢٧ من سبتمبر عام ١٩١٧، وكان مولدي في مركز التل الكبير التابع في ذلك الوقت لمحافظة الشرقية، حصلت على الابتدائية ثم سافرت من التل الكبير للدراسة في مدينة الزقازيق، وبقيت عاما ونصفًا أعيش فيها بعيدة عن أهلي مع أختي الصغيرة، وكنت أدرس في مدرسة إعدادية اسمها «الراقية»، لم أوفق في الشهادة الإعدادية في الزقازيق فانتقلت إلى القاهرة للدراسة قريبا من أهل أمي في حي السلطان أبو العلا، ولم أشعر بالراحة كثيرا في الإقامة عند الأقارب رغم ترحيبهم بي وحفاوتهم فعدت بعد الإعدادية ودخلت مدرسة المعلمين وتخرجت فيها عام ١٩٣٧.

تفوقت في دراستي بمدرسة المعلمات وحصلت على الترتيب الأول في الدراسات النظرية ولكنني تراجعت إلى المرتبة الرابعة عشرة بسبب المواد العملية بالدراسة التي لم أكن مستعدة لها، وما زلت أذكر مادة التدبير النسوي التي كانت سبب تراجعي حيث طُلب مني في الامتحان إعداد بسكويت بالنشادر إفطارا لخمسة أفراد وكفتة سمك غداء لعشرة أفراد، ولم أنجح فيها بسبب الوقت.

كان أخي سيد أبو النور يدرس بإحدى المدارس الداخلية بحي شبرا ثم كلية الهندسة، وقد رفض وقتها أن يسكن عند أقارب والدتي المقيمين بالقاهرة، ولم يجد سكنًا، وكنت وقتها أعمل بالتدريس في الإسماعيلية فاقترحت على والدي أن أطلب نقلي إلى القاهرة لأكون قريبة من أخي وأراعيه أثناء دراسته على أن تأتي أخواتي البنات فتقيم كل واحدة منهن معنا شهرًا، بل وأدخلت أختي الصغيرة كاميليا إلى المدرسة في القاهرة لتكون معنا.

انتقلت إلى القاهرة للعمل معلمة بمدرسة في حي حلمية الزيتون، وذات مرة وأثناء رجوعي من عملي قابلت في الترام سيدة كانت سببا في تغيير مسار حياتي تماما. ففي أثناء جلوسي في الترام التقيت بالأخت فاطمة البدري، وكانت تبدو عليها سمات الأخلاق والتدين فتقربَتْ مني وتجاذبنا أطراف الحديث فحدثتني عن التدين والأخلاق والدعوة إلى الله والأخذ بيد الناس إلى طريق الحق... وغيره من المعاني الجميلة، ثم أعطتني ورقة كانت دعوة لحضور درس ديني، كان مكتوبا على الورقة قول الله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ وكان بها عنوان مكان الأخوات المسلمات في حي الناصرية.

انشرح صدري لهذه السيدة ولكلامها وارتحت لفكرة حضور هذا الدرس الديني، ولما عرضتها بعد عودتي على أخي السيد أبو النور إذ به يشاركني الارتياح بل ويشجعني على الحضور ويطلب مني الانضمام إلى هؤلاء الأخوات.. وفيما بعد عرفت أن أخي أبو النور كان قد أصبح من الإخوان المسلمين وكان قريبا من الأخ مصطفى مؤمن والأخ سعيد رمضان أبرز قيادات الحركة الطلابية من شباب الإخوان.

انتظرت بشوق موعد الدرس، وكان أول درس أحضره في مقر الأخوات المسلمات

في حي الناصرية للشيخ عبد اللطيف الشعشاعي - رحمه الله - كان الرجل كفيفا وكانت تحضر معنا زوجته الأخت زينب، وكان عدد من يحضرن درسه يتراوح من سبع إلى ثماني أخوات، وكان ممن يحضرن الدرس إضافة للأخت زينب زوجة الشيخ الشعشاعي الأخت أمينة محمد زوجة الأستاذ محمود الجوهري الذي كان حلقة الوصل بين الأخوات والمرشد العام الشيخ حسن البنا، والأخت فاطمة البدري التي زوجناها فيما بعد لأحد الإخوة، وكان يعمل محاميا، وقد أعدم رحمه الله فيما بعد مع الشهيد الأخ عبد القادر عودة في أول صدام مع الثورة، وقد كان مسئولا عن محمود عبد اللطيف الذي اتهم في محاولة اغتيال جمال عبد الناصر في حادثة المنشية، والأخت فاطمة توفيق، والأخت فاطمة حسين من العباسية.

كان الدرس يبدأ بعد العصر، فكنا نجلس على مقاعد خشبية نستمع إلى الدروس حتى أذان المغرب فنقوم للصلاة، وكان أخي أبو النور قد طلب مني قبل الذهاب للدرس أن أستعير «إيشاربًا» من الجيران حتى أرتديه عند ذهابي إلى هناك فوضعته في حقيبة يدي ونسيته، فلما أقيمت الصلاة قالت لي الأخت أمينة محمد (أمينة الجوهري): كيف ستقومين للصلاة وتقفين بين يدي الله بهذا الشعر المكشوف وهذه الأرجل العارية؟!

تلك كانت الأخت أمينة محمد وشهرتها «أمينة الجوهري» نسبة إلى زوجها، فما كان مني إلا أن وضعت «الإيشارب» فوق رأسي ووقفت أصلي بملابسي القصيرة التي كانت تعلو الركبة كموضة هذه الأيام.

أخت في قسم الأخوات المسلمات

كان هذا في عام ١٩٤٢ تقريبا، ولم يكن عمري قد جاوز الخامسة والعشرين، وكان هذا اللقاء أول علاقة لي بالأخوات المسلمات، وكان سببا في أن شرح الله صدري لهم، فعند عودتي إلى المنزل سألني أخي أبو النور عن رأيي في الدرس وفي الأخوات، فقلت له إنه ورغم أن المكان كان بسيطا ومتواضعا ولم يكن مهيئا للدرس إلا أن الجلسة كانت مريحة وانشرح صدري لها، وعقدت مقارنة بين هذه الجلسة وجلستنا في السينما فشعرت كم كانت جلسة طيبة. فسعد أخي واستبشر وحمد الله.. وحتى حين أبديت

عدم رضائي عن بعض الأمور في اللقاء وعدم اقتناعي بها قال لي إن الإسلام ليس ملكًا لأحد بل لكل المسلمين، وهم جميعًا مسئولون عنه أمام الله، وطلب مني إذا رأيت شيئًا لا أرتضيه أن أعمل على إصلاحه أو تغييره وألا أخشى من ذلك.

بدأت أنتظم في حضور هذا الدرس وبدأت علاقتي تتوثق بالأخوات المسلمات، وصار الإقبال يزيد يوما بعد يوم حتى ضاق بنا المكان ففكرنا في الانتقال لمكان آخر غير مَقرّنا في حي الناصرية، وقد استقر رأينا وقتها على حي المنيرة، فقد وجدنا مكانا مناسبا عبارة عن منزل واسع من دورين لأحد الباشوات لم تتبق من أسرته إلا ابنة وحيدة على قيد الحياة، سكنت هذه الابنة الدور العلوي من البيت وتركت لنا الدور الأسفل، وكان عبارة عن شقة كبيرة أسفلها «بدروم» كبير وفناء واسع كانت من الاتساع بحيث قمنا بإعادة تنظيمها بحيث تضم حديقة ومصلى كبيرا وسكنًا للخفير وأعشاشا للدجاج، أما بقية المنزل فأصبح دارا لنا (الأخوات المسلمات)، بل لقد فكرنا وقتها في أن ننشئ فيه مدرسة ودارا للأيتام استغلالا للحجرات الكثيرة.

حين قررنا الانتقال عرضنا الأمر على مسئول الأخوات الأستاذ محمود الجوهري فعرضها بدوره على الشيخ حسن البنا الذي وافق وطلب منا التخطيط لها جيدا. وأخذنا بتوجيهاته، ونشط العمل بين النساء وزاد عدد الأخوات وعدد المترددات على دروسنا، ثم توسع نشاطنا فأقمنا مدرسة أسميناها «دار التربية الإسلامية للفتاة» بشارع بستان الفاضل بالمنيرة وخصصناها للفتيات اليتيمات.

كان عددنا ست أخوات كما أسلفت: أمينة الجوهري وفاطمة توفيق وفاطمة البدري وزينب زوجة الشيخ الشعشاعي وأخت الأخ محمود سعيد وأنا؛ فاطمة عبد الهادي، وصرنا فيما بعد نواة قسم الأخوات المسلمات، وأول من بدأن العمل النسوي المنظم في الجماعة. قبلنا بسنوات كان هناك تجمع للأخوات المسلمات لم نلحق به، وكانت رائدته الحاجة لبيبة أحمد رحمها الله، ولكنه لم يكن جزءا من تنظيم الإخوان بل كان تعاونا بينها وبين الشيخ البنا، أما تجمعنا نحن فكان تابعا مباشرة وبشكل منظم للإخوان، وكان مسئولا عنه الأستاذ محمود الجوهري ويتابعه مباشرة المرشد الشيخ حسن البنا.

وللتاريخ أيضا أقول إن الأخت زينب الغزالي كان لها نشاط في الدعوة الإسلامية بين السيدات، لكنه كان مستقلا عن جماعة الإخوان، ولم تنضم إليها إلا متأخرا بعد وفاة الشيخ حسن البنا، وأذكر أثناء دخولي الإخوان سنة ١٩٤٢ أن الأخت زينب كانت أسست جماعة السيدات المسلمات، وكان لها نشاط كبير فقلت وقتها للشيخ حسن البنا: لماذا هناك انقسام في الدعوة؟ ولماذا لا تنضم إلينا الأخت زينب الغزالي؟ فقال لي: والله يا أخت فاطمة نحن عرضنا عليها ذلك، وعرضنا أن تكون مسئولة عن قسم الأخوات لكنها اشترطت أن نطلق عليه «السيدات المسلمات»، فقلنا لها نحن الإخوان المسلمون وستظل الجماعة كما هي، وسيكون هناك قسم للأخوات أنت رئيسته أو المسئولة عنه فرفضت. ولم تلحق بالجماعة إلا عام ١٩٦٥.

لم يمض علينا كثير من الوقت حتى توسعت اهتماماتنا الدعوية، وصممنا وقتها ألا نكتفي بحضور حلقات الدرس فقط، بل رأينا أن يكون لنا نشاطات أخرى، فكنا نذهب يوم الجمعة للشيخ حسن البنا في دار الإخوان المسلمين، وكنا نحضر درسا خاصا بنا يلقيه علينا الشيخ البنا بنفسه. وكان الرجل نموذجا في الخلق والحياء إذ كان يجلس أمامنا منحنيًا مطأطئ الرأس لا ينظر إلى وجوهنا.

في هذه الفترة انضمت إلينا حكيمة (ممرضة) اسمها الحاجة زبيدة، وكانت تعطينا بعد درس الشيخ حسن البنا درسًا في التمريض، ثم نذهب بعدها لمنزل الأخ محمود الجوهري فيأتي إلينا الشيخ سيد سابق ليعلمنا قراءة القرآن قراءة صحيحة.

وقد استحوذت على إعجابي في هذه الفترة فتاة اسمها محاسن حمودة؛ كانت طالبة بالصف الثاني الثانوي بمدرسة المنيرة، فاستأذنت فضيلة الشيخ في أن تحضر معنا؛ خاصة وأنها تتمتع بالنبوغ والذكاء والاجتهاد في الدعوة، فأجاب بالموافقة، فانضمت إلينا، وكنت قد سعيت في زواجها فيما بعد فزوجتها الأخ فؤاد الخطيب ابن سفير السعودية في الهند وقتها، وقد أصبح هو الآخر سفيرا فيما بعد، وقد توفيت قبل أعوام، رحمها الله.

كانت تأتي معنا أحيانا وفاء بنت المرشد الشيخ حسن البنا، وكان قد طلب مني أن أضمها، أما زوجته فكانت تمكث في المنزل ترعى أبناءها، ولم يكن لها أي نشاط

دعوي، بل لا أكاد أتذكر اسمها وربما لم أعرفه أصلا، وإن كانت سيدة فاضلة تقية من أسرة كريمة ومتدينة.

مع آمال العشماوي ونساء بيت الهضيبي

بدأنا العمل بنشاط في الدار الجديدة، كما نشطنا أيضا في المدرسة التي خصصناها للفتيات اليتيمات، وكنا نقدم فيها الرعاية الكاملة لهن ولأسرهن، وأذكر أنه في عام ١٩٤٨ وبعد عودة المرشد الشيخ حسن البنا من الحج أننا ذهبنا نزوره في منزله نحن الأخوات الست المشرفات على العمل بين النساء فقال لنا: ستنضم إليكن عضوة جديدة اسمها آمال العشماوي ابنة العشماوي باشا وزير المعارف، فأوصيكن بها خيرًا. وأذكر أنني سألته أثناء هذه الجلسة عما كنا سمعناه من قرار حل الجماعة فكان أن رد بسخرية وقلق: فليحلوها! فقلت مندهشة: وكيف؟! فاستمر قائلا: وهل سيغلقون الشُّعَب؟ فليغلقوها! وهل سيصادرون المصاحف؟ فليصادروها! كل ذلك وأنا مندهشة فسألته: وماذا يتبقى لنا؟! فقال: يا أخت فاطمة.. إنهم لن يمحوا الإيمان من القلوب.

بعد هذه الجلسة التحقت بنا الأخت آمال العشماوي فأحدثت نقلة هائلة في العمل الدعوي، بما كانت تتحلى به من أخلاق وقدرات فريدة إضافة إلى ما أتاحه لها وضعها الاجتماعي المتميز.

لقد كانت الأخت آمال العشماوي من خيرة الأخوات اللائي دخلن الدعوة، توثقت علاقتنا منذ أن التحقت بنا في بداية عملنا في الدار الجديدة بحي المنيرة، وصرنا لا تتحرك واحدة منا إلا بصحبة الأخرى، وقد كانت رحمها الله ذات خلق رفيع وتواضع جم، ولما دخل الإخوان السجون عام ١٩٥٤ كانت من أكثرنا نشاطا في جمع الأموال والتبرعات لأجل أسر الإخوان المعتقلين، ولهذا فقد كانت على رأس المعتقلات في محنة عام ١٩٦٥، لكنها كانت نعم الأخت الصابرة المحتسبة، وقد اعتنت بي كثيرا لما أصابني النزيف في المعتقل، وكانت تدعو لي بالشفاء، وهي التي قادت احتجاج الأخوات على استمرار اعتقالي وأنا أنزف، وأجبرن الضباط على ضرورة نقلي إلى

مستشفى قصر العيني، وودعتني باكية: مع السلامة يا فاطمة.. إن شاء الله ربنا سيشفيك.. وكانت دائما ما تخفف عنّي وعن الأخوات المعتقلات.

ومما أذكره لها أيضًا في السجن أن الطعام كان سيئًا وعافته بعض الأخوات، وكنّ يبكين من الجوع حتى إن الأخت سنية الوشاحي أصيبت بهبوط من قلة الطعام، وكان الطعام يأتي إلينا في جردلين، في كل منهما فول نابت وقد غطي بقشر البصل وبعض الماء وبلا ملاعق، فكانت الأستاذة آمال العشماوي وهي ابنة القصور وسليلة الباشوات تخفف عنا وتشجعنا على الأكل فتأكل هذا الطعام الرديء وتقول باستمتاع: الله.. كله من خيرك يا رب.

وحين خرجت من المعتقل ضعفت صلتي بكثير من الأخوات اللائي كنّ معنا في المعتقل إلا هي والأخت خالدة الهضيبي، وكانت السلطات قد حددت إقامة آمال العشماوي مع زوجها منير دلة الذي مات أثناء تحديد إقامته، وقد ذهبتُ لأقدم إليها واجب العزاء وإن لم تعزني في وفاة أمي أو بعد استشهاد زوجي، ولما رأتني تأثرت كثيرا واعتذرت بأنها لم تكن تعرف المنزل، وقد سعدتْ كثيرا بزيارتي لها ورحبتْ بي كثيرا.

وكانت قد ورثت عن زوجها قطعة أرض في عزبة المغربي بمحافظة الفيوم، وكان بها منزل للخفير اتخذته مسكنًا كانت تعيش فيه بمفردها، وعندما جاء تكليف ابني أحمد كطبيب جديد في الفيوم طلبت منه الذهاب إلى عزبة المغربي ليزور الأخت آمال العشماوي فرحبتْ به كثيرا وأكرمته، وعاد يقول لي لقد وجدتها وقد ارتدت أفرولا أسود تقف وسط الأرض مع العمال وتعمل معهم. وقد استمرت زياراتي لها، واصطحبت معي ذات مرة زوجة ابني التي رأت فيها نموذجا للكرم والتواضع.

وكانت آخر مرة زرتها سنة ١٩٩٥ بعد عودتي من السعودية، وكانت مريضة بالاستسقاء، ولما رأتني أسير مستندة على عصا حاولت القيام ورحبت بي وقالت لي: أهلًا أهلًا بالحبيبة، يومها وجدتها مريضة جدا.. ولم تلبث أن توفيت بعدها بشهور في عام ١٩٩٦.

وكانت آمال العشماوي ابنة لعائلة محترمة وعظيمة، ولم يكن أخوها الأستاذ حسن

العشماوي المحامي بأقل منها خلقا، بل كان من خيرة الناس، وأذكر له أنه كان قد فرّ إلى الكويت من ملاحقة جمال عبد الناصر، وكانت معه زوجته الأخت قدرية شقيقة الأخ عبد القادر حلمي، ولما علم بزواج ابنتي سمية أرسل لي مبلغ مائة جنيه مساعدة في تجهيزها، وقد كان مبلغا كبيرا أوائل السبعينيات، وقد رفضت وقتها فغضب وأصر على أن أقبله منه كعم لسمية أو خال ولم أستطع إلا القبول به تحت إلحاحه.

مباشرة وبمجرد أن انضمت إلينا الأخت آمال العشماوي قمنا بتشكيل مجلس إدارة للدار تولت هي رئاسته واقترحت إقامة مشغل تعمل به الفتيات بعد أن يتعلمن الخياطة، وقد طلبت من والدها أن ينتدب مدرسات للحياكة من وزارة المعارف، على أن يستخدم ربح هذا المشغل في الإنفاق على الفتيات أنفسهن، وبالفعل جاء لنا العشماوي باشا بثلاث مدرسات فنون عالية، فكنا نقوم بأعمال التطريز والخياطة، وكانت هي تأتي وصديقاتها من العائلات الراقية بالأشياء التي كن قد اشترينها من أوربا مثل المفارش وغيرها لنقوم بتصميم نماذج مثلها، واقترحت أيضًا أن نقيم معرضًا لتسويق منتجاتنا، فقد كانت لها أفكار متميزة.

كما اقترحت أن تفتح لنا البدروم الخاص بالفيلا التي تقيم فيها لنقوم بتصنيع بعض أنواع الكريمات والمربى والعطور والمخللات وغيرها مما يسمى بالتربية النسوية، بل كانت من فرط تواضعها تشارك فتيات الدار فتعمل معنا بيديها، ليس هذا فقط بل فتحت لنا أبواب نادي المعلمين بالجزيرة فكنا نعرض منتجاتنا فيه، وكانت تُدر ربحا نستطيع من خلاله الإنفاق على الأطفال الأيتام وأسرهم.

وقد انضمت إلينا أيضا الأخت رئيفة شاكر أخت الأخ صلاح شادي وأختها دولت هانم زوجة وزير الداخلية إبراهيم باشا عبد الهادي، كانت تقوم بإرسال صفائح الزيت والدقيق والسكر وغير ذلك من المواد التموينية بسيارتها ليتم توزيعها على الفقراء.

والطريف أنه لما صدر قرار حل الجماعة استمر عملنا تحت لافتة الأخوات المسلمات وإن ظلت الدار تحت مراقبة البوليس فقام المخبر المكلف بالمراقبة بالتقاط رقم السيارة التي تحمل تلك المواد التموينية وأرسلها للمباحث، وكانت المفاجأة أنها سيارة إبراهيم باشا عبد الهادي وزير الداخلية! فما كان من المباحث

إلا أن رفعت لافتة الأخوات المسلمات وأرسلوا لجنة من جمعية سيدات مصر التي تسلمت الدار التي كانت تابعة فعليا لجماعة الإخوان الصادر قرار بحلها، وأرادت اللجنة ضم الدار إلى الشئون الاجتماعية، وجاءت لجنة من السيدات لهذا الغرض فقامت الأخت آمال العشماوي بالاتصال بوالدها وزير المعارف الذي كان يرأس أيضا رابطة الإصلاح الاجتماعي وطلبت منه ضم الدار إلى تلك الرابطة حتى يستمر نشاطها، ففعل مشكورا، وكنت ممن انتدبهن للعمل مديرة لهذه الدار واستمر ذلك لمدة تسع سنوات.

وكان مما أذكره من واقعة زيارة لجنة جمعية مصر للدار أن مما استرعى انتباه اللجنة وجود حصيرة في الجمعية كنا نضعها للصلاة ووجود مكان للوضوء، وتساءلت إحداهن ساخرة عن سر وجود تلك الحصيرة وميضة الوضوء!

كان من نشاط الجمعية في ذلك الوقت نشر الدعوة بين النساء في كل مصر وتأسيس فروع لقسم الأخوات المسلمات في أنحاء القطر، فسافرنا إلى بورسعيد وأسيوط والمنيا وكثير من المحافظات وأسسنا فيها فروعا للأخوات المسلمات، وكان الإخوان يرتبون لنا برنامجنا في كل مدينة قبل أن نسافر إليها، فكنا ننزل في بيت معين تجتمع فيه السيدات فكنا نعطيهن بعض الدروس ونوجههن إلى العمل والقراءة في كتب معينة، وكانت مدة الزيارة تختلف حسب الظروف. وكنا نسافر بطريقة تلتزم آداب الشرع في السفر فتسافر كل أختين مع محرم لواحدة منها والأخرى تكون مرافقة لها، وكنا نرتدي وقتها طرحة وجاكت طويلا، وبدأنا وقتها نفكر في أن نصمم خمارًا، وكان ممن يأتي ليعطينا الدروس الدينية في أُسر الأخوات التي كان يتعاقب على التدريس بها الشيخ محمد الغزالي والشيخ سيد سابق والشيخ عبد البديع صقر والأستاذ فريد عبد الخالق.

ومما أذكره عن عملنا في هذه الدار الجديدة بالمنيرة أنني تعرفت فيها على نساء بيت الأستاذ حسن الهضيبي المرشد الثاني للجماعة، وكن جميعا أهل فضل وتقوى وخلق، أذكر أنه لما أنشأنا الدار كانت الأخت سعاد الهضيبي قد عُينت طبيبة في مستشفى أبو الريش للأطفال القريبة من الدار، وذات مرة كانت تمر في طريق الدار فقرأتْ إعلانا يقول:«دار التربية الإسلامية للفتاة» فجاءت وقابلتني وقالت إن أختها خالدة تميل لهذه

الأمور ولديها اهتمام بموضوع التربية الإسلامية، وإنها سترسلها لزيارتي، ثم جاءت خالدة الهضيبي التي قالت لي إن أباها أيضًا يحب هذا التوجه في تربية الفتيات، ولم يكن الأستاذ حسن الهضيبي قد دخل الإخوان بعد، ثم أخبرتني أنها حدَّثتْ أمها عني وهي تدعوني على الغداء، وذهبت فعلًا لتلبية الدعوة، وكان آل الهضيبي من سكان مصر الجديدة، وجلس الأستاذ حسن الهضيبي يتحدث إليَّ حديثا طيبا ومشجعا، ومن ساعتها دخلت خالدة معنا الأخوات، فكانت أول فرد من آل الهضيبي ينضم إلى جماعة الإخوان ثم توالى دخولهم بعد ذلك.

ومما أذكره أيضا من طرائف هذه الفترة أن الشيخ الفقيه سيد سابق كان يلقي دروسًا علينا في قسم الأخوات، وقد حضرت معنا ذات يوم الأخت الدكتورة سعاد الهضيبي، وقد كانت متزوجة من الدكتور علي ابن الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار، ولم يكن معجبًا بارتدائها الحجاب، فأرادت أن يلتقي بالشيخ سيد سابق لكي ينصحه بطريقة غير مباشرة فدعته إلى درس في منزلها وتكلم في حضور زوجها عن الحجاب، وكان في كلامه تأثير إيجابي في قناعة زوجها فسمح لها بارتداء الحجاب.

الأخوات المسلمات وقضايا الحياة السياسية والاجتماعية

ومما أذكره من وقائع هذه الفترة أنني عملت مسئولة عن الأخوات بالجامعة، وقد جاءتني ذات مرة فتاة شيوعية وقالت لي: أريد أن أسأل الشيخ حسن البنا سؤالًا. فقلت لها: ما هو لأبلغه له؟ فقالت: بل أريد أن أسأله بنفسي! وقد عرضت الأمر على الأستاذ المرشد فقال: لا مانع أن تأتي في أثناء الدرس. وعندما جاءت قالت له: إن زينب الوكيل وهي زوجة النحاس باشا تقوم بسرقة الزيت والدقيق والمعونة التي تأتي للشعب، والإخوان يسكتون عن ذلك ولا يقولون لها شيئًا! فقال لها الشيخ المرشد: هل هي نصيحة أم فضيحة؟ لو كان الغرض هو النصيحة فقد قمنا بذلك، أما لو كان الغرض الفضيحة والنشر في الجرائد فنحن لا نفعل ذلك.

ومن طريف ما كان يقابلنا في عملنا بقسم الأخوات المسلمات محاولات أجهزة الأمن أن تدس بيننا بعض الجاسوسات لينقلن أخبار نشاطنا.

أتذكر أن الإمام المرشد حسن البنا كان يطلب منا أن نذهب إلى الحاجة زينب الغزالي التي كانت ترأس جمعية السيدات المسلمات، وينصحنا أن نحضر المحاضرات التي تلقيها بالجمعية حيث كان يقصدها الكثير من الملتزمات دينيا؛ مما يعطينا الفرصة لنتعرف عليهن وندعوهن عندنا، فكنت أذهب والأخت أمينة الجوهري ولكننا كنا نقف بالخارج ولا ندخل نظرا لوجود رجال أحيانًا؛ فكنا نقف في الشرفة إلى أن تنتهي من محاضرتها وتخرج الأخوات اللاتي كثيرا ما كن يأتين من بلاد عربية خارج مصر، فكنا نبعث معهن برسائل دعوية بعد أن نعرضها على الإمام الشهيد ليصححها، ولما ثقل علينا العمل احتجت لسكرتيرة عملت معنا فترة ثم إذا بالأخت آمال العشماوي

تتصل بي هاتفيا وتطلب مني ألا أُدخل هذه الفتاة إلى الدار ثانية إذ علمت أنها شيوعية تتظاهر بأنها من الأخوات، وأنها اندست بيننا لتتجسس على نشاطنا، فلما عادت قلت لها: أنا آسفة.. لدي أمر بألا أدخلك.

ومرة أخرى حدث أن كنا في أجتماع أسرة وبعد خروجنا قامت صاحبة الدار بترتيب الوسائد فوجدت بينها جهاز كاسيت به شريط عليه كل ما دار في الجلسة؛ فقامت بتكسيره وإلقائه في الشارع، ثم بعد قليل أتت صاحبته تقول إنها نسيت بعض أغراضها فكشفت لها الأخت صاحبة الدار أنها وقعت على جهاز الكاسيت فوبختها وطردتها وعممنا بين الأخوات أنها جاسوسة وليست من الأخوات فلم تعد تتردد علينا أبدا.

وحتى بعد خروجنا من السجون ونهاية العصر الناصري استمروا يدسون علينا الجاسوسات، وقد أرسلت لي الحاجة زينب الغزالي فتاة جاسوسة دون أن تعرف حقيقتها، كانت الفتاة اسمها سلوى، وكانت فتاة تبدو عليها الدماثة وطيب المعشر، وكانت تترك محاضراتها في الجامعة وتأتي إلينا في الدقي وتمكث عندنا طوال النهار، فكنت أسألها هل أخبرت والدك بأنك ستتأخرين وأنك لم تذهبي إلى الكلية؟ فكانت تؤكد أنها أخبرت أباها وأنه ليس مهمًّا ذهابها للجامعة، وهو ما أثار الشك في نفسي خاصة أنها كانت كثيرا ما تفتح حقيبة يدها وتغلقها، فانتهزت ذات مرة فرصة دخولها دورة المياه وقمت بفتح حقيبة يدها فوجدت جهاز تسجيل مفتوحًا فعرفت أنها تقوم بتسجيل حواراتنا، وعندما ذهبت إلى المنيل جاءت تسأل على سمية ابنتي فقلت لها أنت جاسوسة ولست مسلمة ولن تدخلي بيتي، وإن أردت سمية فهي في الدقي فاذهبي إليها ولا تأتي إلى هنا مرة أخرى. وقلت لسمية أن تخبر زوجها الأستاذ أحمد أن هذه الفتاة جاسوسة.

والغريب أن هذه الفتاة نفسها كانت قد ذهبت إلى الأخت أم كمال سلام ولكنها اكتشفت أمرها وتأكد لها أنها جاسوسة مدسوسة عليها، ولا أعرف كيف اكتشفتها، وللأسف كانت هذه الفتاة طالبة في الأزهر، ورغم ذلك قبلت بأن تحاول أن تستدرجني وتقوم بتسجيل ما أقوله لتنقل للبوليس المعلومات عن الأخوات.

لقد كانت المباحث لا تكف عن محاولة الحصول على كل المعلومات عنّا حتى إنهم

عندما اعتقلونا عام ١٩٦٥ دسّوا علينا إحدى الفتيات كجاسوسة علينا في قسم مصر القديمة قبل ترحيلنا إلى سجن النساء في القناطر، وكانت تنقل لهم كل ما يدور بيننا.

بل إن الأكثر وقاحة من ذلك أن المباحث حاولت أن تدفعنا للعمل معها جواسيس على الإخوان، وأذكر بعد إعدام زوجي الشهيد أن المباحث حاولت أن تغريني للتعاون معهم بنقل أخبار الأخوات الخاصة بالنواحي الاجتماعية، فما كان مني إلا أن صرخت فيهم وقلت لهم: تريدون مني أن أتجسس على الإخوان بعد أن استشهد زوجي في سبيل هذه الدعوة؟! والله لا يكون ذلك أبدا.

الشيخ سيد سابق وسجن مصر

وقد كان الشيخ سيد سابق من أهم الدعاة والمشايخ الذين تعلمنا عليهم في قسم الأخوات، وقد كان فقيها قويا، واتهم وقتها بأنه أفتى بقتل المستشار الخازندار ثم بقتل النقراشي باشا، وسجن في تلك القضية، وكان معه الشيخ عبد اللطيف مكي الذي تزوج بأختي خيرية فيما بعد، ولكنني أستبعد ذلك تماما؛ فقد كان رجلا مؤمنا متسامحا لا يمكن أن يخوض في دماء المسلمين، وقد ظلت تربطنا به علاقات طيبة حتى وفاته رحمه الله.

وكانت بين أسرتنا وأسرة الشيخ سيد سابق علاقات متينة فكنت أزورهم في بيتهم، وكنت أعطي دروسا لابنه محمد الذي ما زال على صلة بنا، وقد أسس دارا للنشر أسماها دار الفتح بدأ ينشر فيها كتب والده، كما كانت زوجة الشيخ سيد سابق سيدة كريمة وملتزمة دينيا، وكانت تربطني بها علاقة طيبة رغم أنها لم تكن معنا في قسم الأخوات المسلمات.

والشيخ سيد سابق هو مَن وقف وراء زواج أختي ثريا من الأخ محمود الشيخ، وكان من عرَّفنا به وزارنا في بيت الأهل في مركز التل الكبير وتولى بنفسه إقناع الوالد.. وقد كانت أختي ثريا أول من تزوج في أسرتنا، وكان زوجها الأخ محمود الشيخ من إخوان شبرا البلد، وكان يعمل موظفا بقسم الجوازات بوزارة الداخلية، وكان شقيقه الأخ عبد الجواد من الإخوان أيضا.

وكنت قد عرفت الشيخ سيد سابق من الدروس التي يأتي ليلقيها علينا في دار الأخوات المسلمات، ثم تعرفت عليه أكثر عندما سُجن مع الإخوان في سجن مصر، فقد كنت أحمل لهم الطعام باستمرار هناك، ثم عرضت على الأخت زهرة السنانيري؛ أخت كمال السنانيري والتي كان قد توفي زوجها، أن تعمل معنا في تلك المهمة، وكان أمام سجن مصر في هذه الفترة متعهد تابع للحكومة يحمل الطعام إلى السجن يدعى حمزة، فكنا نعطيه طعامًا مخصوصًا للإخوان ليقوم بتوصيله إليهم، ثم فكرنا في تأجير حجرة بجوار السجن، فكانت الأخت زهرة تقوم بإعداد الطعام فيها ونحن نحضر لها ما تحتاجه، وقد لجأنا لهذا الحل بسبب أن عدد الإخوان المسجونين والمعتقلين كان كبيرًا.

مأساة أختي وزوجها ثم فرج الله

ولا يمكن أن أذكر هذه الفترة دون أن أذكر الأخ عبد اللطيف مكي، فقد كان هذا الأخ عضوا في جوالة الإخوان بالتل الكبير، وكان أبوه من نفس بلد والدي (المراغة بسوهاج) وكان والده قاضيا، وقد تقدم لخطبة شقيقتي خيرية وأراد الزواج فباع قطعة أرض ورثها عن أبيه، وقام باستئجار محل في الحلمية بمشاركة بعض الإخوة، فكانوا يمرون على بيوت الإخوان ومعهم قائمة بالبضائع التي بالمحل ونقوم نحن باختيار ما نريده منها ثم يمرون مرة أخرى وقد أحضروا ما تم اختياره.

ولما قامت الحكومة بحل الجماعة عام ١٩٤٨ وبدأت في اعتقال الإخوان أغلق البوليس المحل الخاص به وقاموا بالاستيلاء على ما فيه من بضائع، ولما لم يكن له أحد سوانا في القاهرة فقد قمت بالبحث عنه في كل أقسام الشرطة إلى أن عثرت عليه في قسم الخليفة، ورأيت الشيخ سيد سابق الذي سألني: ماذا جاء بك إلى هنا؟ فسألته عن عبد اللطيف مكي، فأرسله لي وكان في حال سيئة؛ حيث طال شعره واتسخت ملابسه وكان حافي القدمين، وأخبرني أنهم قد وصلوا هنا منذ يومين فقط، وأنهم قد تعرضوا لأسوأ أنواع المعاملة، فسألته عن عددهم فأخبرني أنهم حوالي سبعة أفراد في بدروم تحت بناء القسم، فأعددت لهم الطعام وكنت أملأ الآنية بأنواع الطعام،

وساعدتني في ذلك أختي الصغيرة كاميليا، ولكنهم بعد ذلك رحّلوهم من القسم إلى مكان لا نعرفه.

قبل اعتقاله كنا قد قمنا بشراء أثاث الشقة التي من المفترض أن يزف فيها على أختي خيرية، وكانت الشقة بحي شبرا، وكان عبد اللطيف يبيت في بيت لعمه فلما فرشت الشقة كان يبيت فيها ريثما يتم الزواج، وفي ليلة من الليالي وبعد الثانية بعد منتصف الليل فوجئنا بالمباحث تأتي بالأخ عبد اللطيف وقد تورم وجهه من الضرب وسألوه عن مكان مبيته فلم يخبرهم خوفًا على الشقة وما بها من أثاث، وقبل أن يأخذوه أراد أن يشرب فمنعوه من الشرب وذهبوا به، فقررت مباشرة أن أذهب إلى الشقة لآخذ ما بها من أثاث، فاصطحبت أخته دولت معي، وقد ساعدني جيرانه في نقل الأثاث وكانوا أقباطًا طيبين، وعند نقل الأثاث لاحظت شيئًا ضخمًا أزرق اللون فظننته قنبلة وذهبت وألقيتها في ترعة مجاورة! ثم ذهبت إلى الأخ محمود الجوهري ليدبر لي مكانًا لنضع فيه الأثاث فاقترحت زوجته الحاجة أمينة وضعه في حجرة خالية في بيتهم.

قمت بنقل الأثاث بواسطة سيارة استأجرتها من منطقة العتبة، وساعدتني في ذلك دولت أخت عبد اللطيف وكانت صغيرة، في الصباح توجهت إلى عملي حيث كنت أعمل ناظرة فإذا بالأخت أمينة زوجة الأخ محمود الجوهري تأتي وتطلب مني أن آخذ العفش في أسرع وقت لأن هناك قرارًا قد صدر بضرورة إبلاغ البوليس في حالة قيام صاحب المنزل بإيواء شخص لديه، فاقترح محمود الجوهري أن نرسل الأثاث إلى أبي في التل الكبير، وبالفعل قمنا بإنزال الأثاث سرًّا في سيارة ركبت فيها بمفردي ليلًا إلى التل الكبير، وقام الأستاذ محمود الجوهري بأخذ رقم السيارة للاطمئنان عليَّ ودعا الله لي.

الطريف أنه لما خرج الأخ عبد اللطيف وحدثته عن الشيء الغريب الذي وجدته في شقته وأنني ظننته قنبلة فألقيت به في إحدى الترع ضحك وقال لي إنه مادة الحبر!

وعندما خرج عبد اللطيف من المعتقل لم يجد عملًا، وكان رأي الأخت آمال العشماوي أن نزوجه لكي يستقر، ولما كان من الضروري أن يجد عملًا فقد ذهب إلى الحاج راضي السلايمة؛ وكان تاجرا فلسطينيا لديه محل للبقالة وقد تقدمت به السن،

فقام الأخ عبد اللطيف بإدارة محلاته بدلا عنه، وتزوج مباشرة أختي خيرية واستمر في عمله بمحلات البقالة إلى أن قام الأخ سعيد رمضان بافتتاح مجلة الدعوة فعمل معه الأخ عبد اللطيف مديرًا للمجلة، وعندما بدأت الشرطة تلاحق سعيد رمضان سافر إلى سوريا وأرسل إلى الأخ عبد اللطيف ليلحق به فشجعته على السفر لما طلب رأيي، خاصة وأن الأجواء في تلك الأيام كانت ضاغطة على الإخوان.

وقد لامتني أختي خيرية كثيرا على تشجيعي له على السفر خاصة وأنها كانت قد أنجبت وقتها ولدا (أحمد سيف الإسلام) وبنتا (ثريا)، وكانت قلقة من تحمل مسئولية الطفلين وحدها فطمأنتها وقلت لها سيرجع لك إن شاء الله.

فيما بعد مضت الأحداث سريعا واتصل به الأخ عبد البديع صقر عارضًا عليه أن يعمل معه في قطر، فانتقل إلى هناك ليعمل في المعهد الديني، ثم أرسل إلى زوجته لتستعد للسفر إليه، ولكن الحكومة قامت وقتها بسحب الجنسية منه ومن عدد من الإخوان، فعرض عليه القطريون الجنسية القطرية فرفض وظل بلا جنسية، ورفضت وزارة الداخلية طلبه بأن يسمحوا لزوجته وولديه بالسفر.

ومن أقدار الله أنني كنت وقتها قد نُقلت للعمل في مصر القديمة، وكنت أجلس ذات يوم مهمومة بشأن أختي وكيف أجمع شملها مع زوجها، وذهبت أبث شكواي لإحدى الزميلات فسمعتني حكيمة (ممرضة) كانت تعمل معنا وإذا بها تقول لي: أنا سأجعلها تسافر! للوهلة الأولى ظننتها تسخر مني، لكنها أخبرتني أن والدتها تقوم بتفصيل ملابس لوالدة زكريا محيي الدين وزير الداخلية، وأنها ستطلب منه هذا الطلب، وفعلًا قامت السيدة مشكورة برجاء أم زكريا محيي الدين فطلبت من ابنها أن يسمح لأختي بالسفر فنزل على طلب والدته وأرسل إلي كارت توصية، كان له فعل السحر في موظفي وزارة الداخلية الذين أسرعوا بإنهاء إجراءات سفرها فورا، ولكنهم اشترطوا عليها أن تسافر بلا عودة لأن زوجها بلا جنسية فوافقت.

استقر بهم المقام في قطر وتخرج سيف الإسلام طبيبا وتزوج ابنة الشيخ يوسف القرضاوي، كما تخرجت ثريا طبيبة وتزوجت من المستشار محمود عبد العال، كما أنجبا هناك فاطمة وحسام وإقبال.

وقد أرسلوا ذات عام إلى والدتي لقضاء الصيف معهم في لبنان لأن خيرية كانت تشتاق لرؤيتها، وأرسلوا لها تذاكر الطائرة، وقضت الصيف معهم حيث كان الأخ عبد اللطيف يخشى أن يقضي الصيف في مصر فيُعتقل.

وقد استمر ذلك الوضع حتى عام ١٩٦١ حين زار السادات قطر فقدم له عبد اللطيف التماسًا ليعيد إليه الجنسية بناء على نصيحة أمير قطر، وكان عبد اللطيف يعمل مدير التغذية بوزارة المعارف فأشار عليه الأمير أن يقدم له الالتماس، وقد كان.. وعادت له الجنسية، وبدأوا في قضاء الصيف مجددا في مصر بدءا من عام ١٩٦٢، ولكنه اعتُقل مرة أخرى سنة ١٩٦٥ أثناء قضائه الصيف هنا، ولم يطل اعتقاله بفضل الله.

دور الأخوات المسلمات في العمل الإسلامي

كنا في قسم الأخوات المسلمات نهتم كثيرا بمقاومة موجة العري والابتذال التي كانت قد اجتاحت بعض شرائح المجتمع المصري خاصة في المدينة، لقد أدت هذه الموجة إلى انتشار موضة الملابس القصيرة بين الفتيات والنساء، ولم يكن أداء العبادات كالصلاة من الأمور الشائعة بين الأجيال الشابة، بل كان يحرص عليه كبار السن فقط، وأذكر من طرائف هذه الفترة أنني كنت أنصح الأخوات أن تأخذ الواحدة إذا ركبت المواصلات في يدها دبوسا فإذا رأت الفتاة أو السيدة متكشفة تقوم بوخزها في جسدها العاري ثم تعتذر لها وتتخذ من الواقعة بداية لفتح حديث توصل لها رسالة من خلاله في الاحتشام وارتداء اللباس الشرعي، وكثيرا ما كان ذلك أول الطريق لجذبهن إلى دعوة الأخوات المسلمات.

كانت الفتاة بمجرد انضمامها إلى الأخوات تفرح وتسعد وتلتحق فورا بأقرب أسرة للأخوات من مكان سكنها. وكنا نقوم بقراءة القرآن الكريم والمأثورات والأذكار ونركز على قيم الأخلاق والعفاف والأدب، ومن ثَمَّ سرعان ما يتأثر سلوكهن فيلبسن طرحة وثيابا طويلة، وقد كان هذا اللباس مصدر استغراب في بعض الأحيان، ومما أذكره في هذا المقام أنه في أثناء حضوري المحاكمة الأخيرة لزوجي محمد هواش وأثناء حديثي إلى الأستاذ سيد قطب من خلال القضبان نظر إليَّ أحد الضباط وأخذ يسخر من ملابسي المحتشمة والطويلة؛ إذ لم يكن ذلك معتادًا في تلك الأيام.

والحق أن الدعوة أيامنا كانت أفضل من هذه الأيام رغم أنني لم أعد مُطّلعة على نظام

الأخوات، وإن كان أغلب الظن أن الأمر أصبح شكليات حيث الاهتمام بالشكل أكثر من المضمون، أما في وقتنا فكان هناك اندفاع إيماني ورغبة في التضحية حتى إنني كنت إذا كَلفت إحدى الأخوات بعمل لا يهدأ لها بال أو تقر لها عين حتى تقوم بهذا العمل.

كانت دروس الأخوات تدور حول الحكمة من خلق الإنسان، وأن الله لم يخلقه سدى بل لغاية أرادها وهي عبادته، وكان من مقررات الأسرة دراسة منهاج الأسرة المسلمة وحفظ بعض سور القرآن مثل سورة النور وحفظ المأثورات، وقراءة بعض كتب الإخوان، وكنّا نطلب من الأستاذ محمود الجوهري مسئول قسم الأخوات أن يسمح لنا بالاستعارة من مكتبة كبيرة لدى الإخوان.

ورغم الإقبال الكبير من النساء والفتيات على الدعوة إلا أن انتشار الدعوة بين الرجال كان أكثر بكثير، بل كانوا هم الذين يطلبون منا أن نقوم بتأليف جماعة للأخوات ورعايتهن، وكنت أقتنص أي دعوة مثل هذه لنشر الدعوة بين النساء والفتيات؛ حتى أذكر أنني كنت إذا سافرت إلى التل الكبير خلال الإجازة لم أكن أضيع وقتا فكنت أقوم بإلقاء درس في صالون المنزل أدعو إليه زوجات الموظفين والفلاحين.. حتى بعض المسيحيات ممن كنّ يعملن في معسكرات الإنجليز كنّ يحضرن هذه الدروس.

وكنّا نهتم كثيرا بتأسيس شُعب للأخوات، وأذكر أنني قمت بعمل حفلة للفتيات جعلت الدخول فيها بمقابل مادي وخصصت عائدها لإنشاء شُعبة في التل الكبير، وذات مرة وكنّا في شهر رمضان الكريم نظمت حملة تبرعات بين الأخوات تبرعت كل واحدة منهن بما تستطيع، وقد افتتحتها بالتبرع بسوارين من الذهب كان أبي قد اشتراهما لي من الإسكندرية، وساعدنا بعوائد الحملة في إنشاء شعبة للإخوان في ساحة بجوار نقطة البوليس في مدينة التل الكبير.

قسم الأخوات وتزويج الإخوان

وكان من أهم أنشطتنا في هذه الفترة تزويج الإخوان من الأخوات أو الفتيات المناسبات إذا لم نجد بين الأخوات، وكان من فضل الله أنني كنت سببا في زواج كثير من الإخوان والأخوات. كان الإخوان يأتي الواحد منهم إلى الأستاذ محمود

الجوهري يطلب منه أن نجد له في قسم الأخوات الزوجة التي تناسبه، فكنت أطلب من الأستاذ الجوهري معلومات عن هذا الأخ وأقوم أنا بترشيح الأخت المناسبة له.

أذكر أن أخي سيد أبو النور جاءني يوما وقال لي إنه يريد عروسا لابن سفير السعودية بالهند الذي كان يدرس في مصر، وكان اسمه فؤاد الخطيب، وكان هذا الشاب معجبا بالإخوان وأراد أن يتزوج أختا من الأخوات تكون داعية إلى الله، وكانت معنا فتاة صغيرة في الثانوية اسمها محاسن حمودة وهي من أكثر الأخوات ذكاء ونشاطا، حتى إنني طلبت من الشيخ حسن البنا أن تنضم إلينا في مسئولية قسم الأخوات المسلمات فرحب وكانت بين الست أخوات اللائي يحضرن درسه بانتظام. لقد كان لديها قبول واستعداد طيب، وقد كانت وكيلة مدرستها امرأة مسيحية متعصبة حاولتْ مرارا مضايقتها بسبب ارتدائها غطاء الرأس فكنت أواسيها وأصبّرها، وقد رأيت أنها الأصلح لهذا الأخ فأرسلنا إلى والدها الذي كان يعمل مدرسًا بالسعودية فوافق وأرسل إلى الأستاذ حسن البنا يطلب منه أن يكون وكيلا عنه في زواج ابنته.

وأذكر وقتها أن الأخت محاسن لم يكن عندها ملابس مناسبة للحفل، وذلك لكثرة أعباء والدها، فقام العريس بشراء كل ما تحتاجه ثم سافر بها إلى السعودية حيث أكملت دراستها، وقد أصبح هذا الشاب مثل والده سفيرًا، وقامت هي بالعمل الدعوي في كل بلد عمل فيه زوجها، فأسست شعبة للإخوان في باكستان، كما أنشأت المنتدى الإسلامي بأمريكا. وقد وسّع الله عليها وزوجها ولما مرت الأيام وعشت في السعودية كانت تدعونا إلى قضاء أيام الصيف في الفيلّا التي تعيش فيها على البحر بمدينة جدة، وكانت تجمع لي أولادها كلهم لأتحدث إليهم، وقد ظلت على صلة دائمة بالدعوة حتى توفيت، رحمها الله.

ومما أذكره أيضا في هذا المقام أن أحد الإخوة أرسل لي عن طريق الأخت أم صلاح يخبرني بأنه يريد أن أختار له زوجة، وكنت أعرف فتاة صالحة، ولكن لم أكن أعرف أهلها، وكانت في تلك الفترة قد أعيرت هي والأخت فاطمة عيسى إلى الكويت للتدريس، وقد قمت بترتيب لقائهما عندي بحجة أنها تريد السؤال عن التعليم العالي، وقد أعجب هذا الأخ واسمه عبد الرحيم عبد الخالق بهذه الأخت، وأراد أن

يعرف أهلها فأعطيته العنوان، ولكنه لم يجد أهلها ملتزمين دينيا مثلها، فشجعته على أن يتزوجها وألا يأخذها بأهلها خاصة أنه كان يقول لي إنه معجب بالفتاة وبتدينها، وكان من فضل الله أن تزوجها وسافر إلى الكويت حيث عمل إماما لأحد المساجد وبقيا هناك إلى أن توفاه الله، ولما عادت هي إلى مصر أرسلت لي وهي تُعالَج في أحد المستشفيات وقالت لي: مثلما أهديتني هذا الزوج الصالح أريد أن تهديني هدية أخرى لابني عبد الرحيم الذي أسميته على اسم أبيه، وقد كان.. ورشحت له أخت زوج حفيدتي، وقدر أن رزقه الله منها الأولاد.

لم نكن نشترط أن يتزوج الأخ من أخت من الأخوات كما يشترطون الآن، لم يكن هناك تشدد، بل كانت الفتاة عندما تأتي لدروس الأخوات تعجب بالمناخ السائد فتأتي بصديقاتها فيكثر عدد الأخوات، وكانت الدروس كثيرة وتجذبهن إلينا فكان هناك دروس يلقيها الشيخ سيد سابق والأستاذ فريد عبد الخالق والشيخ محمد الغزالي، والشيخ عبد البديع صقر والشيخ عبد اللطيف الشعشاعي والأستاذ محمود سعيد، كما كان الشيخ المرشد الأستاذ حسن البنا يأتينا في بعض الأحيان ويعطي دروسا للأخوات.

نشر الدعوة عبر المسرح

وذات مرة اقترحت على الأخوات في القسم تنظيم حفل لمدرسة البنات، فنظمنا حفلة كبيرة، قدمت فيها لأول مرة عملا مسرحيا، حيث أخرجت ثلاث مسرحيات هي: «قل هو الله أحد» و «القرآن الكريم» و «بلال»، وكان في إحداها مشهد تأتي فيه فتاة لقارئة الفنجان فتقول لها: ألم تسمعي بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فتقول لها: ما هو؟ فترد: مَن أتى عرافًا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد.. وأذكر أن بنات الشيخ أحمد حسن الباقوري (الذي ترك الإخوان فيما بعد) كن غير محجبات، وكنت كلما حاولت أن أكلمهن في تغطية الشعر أجد منهن رفضًا، فأتيت في مسرحية «قل هو الله أحد» بمشهد تقوم فيه فتاة بدور ابنة شيخ الأزهر (وقد أدت الدور الأخت محاسن حمودة، وكانت أصغرنا سنا)، وكانت الفتاة في المسرحية ترتدي ملابس أنيقة

ولكن من غير غطاء للشعر، فتدخل بدون حجاب وتأخذ أخت أخرى تحدثها عن ضرورة الحجاب وتتلو عليها آيات الحجاب وتطلب منها التوبة والاستجابة لأمر الله وتتلو عليها قول الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾، فتقرر الفتاة المتبرجة التوبة وتسأل عن الأخوات المسلمات وعن موعد لقائهن ومكانه.. ثم تلتحق بهن.

لقد كنت آخذ نصوص تلك المسرحيات من كتب المطالعة المقررة وأقوم بإجراء تعديل فيها بحيث تصبح ذات معنى إسلامي، وكان من يمثل شخصيات بلال أو عمر أو غيرهما من الصحابة بعض أطفال أقاربنا، وقد تطور مسرحنا كثيرا ولكنه كان مقتصرا على المدارس والأعمال الخيرية. وقد علمنا فيما بعد أن الأستاذ عبد الرحمن البنا شقيق المرشد الشيخ حسن البنا كان قد أسس مسرحًا هو الآخر، ولكن الأخوات لم يكنّ يشتركن فيه أو يشاهدنه.

ومن طريف اهتمامي بالمسرح أنه في نهاية عام ١٩٤٨ وبعد قرار حل جماعة الإخوان أخرجت مسرحية اسمها «القرآن» وكانت تؤدَّى في مدرسة هدى شعراوي، وكان الجمهور من الرجال والنساء، وكان من الإخوان من أراد الحضور ومنهم أحمد فراج الذي صار فيما بعد مذيعا لامعا؛ قلت له: يا أخ أحمد هناك مشهد في المسرحية سيبهرك فاملك نفسك ولا تردد «الله أكبر ولله الحمد»، وكان هذا شعار الإخوان الشهير، ولما كانوا يعتقلون الإخوان فقد كانوا يعتقلون كل من يردده فكنّا نتحايل على ذلك ونقول «الله أكبر» فقط ! وكنت قد دعوت الأخت آمال العشماوي والتي ساعدتني كثيرا في الإعداد لهذا الحفل، حتى إنها اشترت البيانو على نفقتها، كما حضر والدها العشماوي باشا ودعا بعض الوزراء للحضور، كانت المسرحية متقنة جدا وراقية الأداء، ولما وصلنا إلى مشهد نزول القرآن وأنيرت الأضواء مسلطة عليه ما كان من الأخ أحمد فراج إلا أن تأثر بشدة ووقف وهو يهتف «الله أكبر ولله الحمد»! وتوتر الجو كثيرا بهذا الهتاف المعروف للإخوان المسلمين، وقد عاتبني العشماوي باشا على ذلك بسبب الإحراج الذي تعرض له مع الوزراء فاعتذرت له وقلت: إنني نبهت عليه ولكنه لم يلتزم.

أول لقاء مع الشيخ حسن البنا

كانت أول مرة ألتقي فيها بالشيخ حسن البنا بعدما دخلت الدعوة بقليل، وكنا في اجتماع للأخوات في بيت المنيرة الذي اتخذناه مقرا جديدا لنا، جاء الأستاذ محمود الجوهري فجأة وقال: إن الشيخ حسن البنا سيأتي اليوم. وبعدها دخل علينا الشيخ المرشد مرتديا عباءة حمراء، وكان الحياء باديا على وجهه فكان يغض بصره أثناء الدخول. وفيما بعد صرت أتردد على بيته وأسرته، خاصة بعدما جمعتني بابنته وفاء صداقة متينة، فقد كان الأستاذ حسن البنا رحمه الله يثق فيّ ثقة كبيرة وكثيرا ما شدد على ابنته وفاء ألا تخرج إلا معي وفي صحبتي.

وأتذكر أنني كنت من وقف وراء زواجها من الأخ سعيد رمضان، فقد طلب مني الأخ سعيد ذات يوم أن أساعده في الحصول على زوجة مناسبة له، وكان الإمام حسن البنا قد توفي وقتها، فقلت له أنا سأزوجك وفاء ابنة الإمام الشهيد، فرحب ولكنه طلب أن يراها أولا قبل أن يتقدم لها، فطلبت من وفاء أن تأتي لزيارتي يوما، ودبرت لهما الأمر أن يجلس هو في المقهى المواجه لبيتنا ثم أطلب من وفاء أن تقف في النافذة لطلب ما، فرآها الأخ سعيد وسُرّ بها، وأبدى موافقته وقال لأخي سيد إنه سيذهب إلى الإسماعيلية ليخطبها من خالها الحاج محمد الصولي.. وقد كان.

ولما علمت والدتها بما جرى أرسلت لي معاتبة على سعيي في تزويج ابنتها واحدًا من الإخوان بعد كل ما عانوه بسبب الإخوان من سجن ومطاردة... بل واغتيال، وقالت لي: هل سنظل هكذا نحيا في تشتت؟ فقلت لها: لقد اخترتُ لها الخير، وقد قدر الله وتم الزواج.

والطريف أن إحساس زوجة الإمام الشهيد حسن البنا كان في محله، فسرعان ما وقعت الثورة ووقع الصِّدام معها وفرّ الأخ سعيد رمضان من مصر إلى السعودية، وتنقل في بلاد الله حتى استقر في سويسرا وأسس هناك المركز الإسلامي، وقد أنجب منها عددا من الأبناء أشهرهم طارق سعيد رمضان المفكر الإسلامي الشاب والمعروف في أوربا.

ولم تكن زوجة الأستاذ المرشد حسن البنا يوما من الأخوات المسلمات، ولم

يكن لها نشاط يذكر في العمل الدعوي، ولكنها كانت تتعامل معنا بكرم شديد عندما كنا نذهب إليها وترحب بنا وتحسن استقبالنا، وقد كان بيت الأستاذ البنا أقرب إلى البيوت المصرية المحافظة والتقليدية، وكانت شقته مفروشة بالسجاد، وكان لديه من البنات: وفاء وسناء ورجاء، ثم ابنه سيف الإسلام، وحين استُشهد كانت زوجته حاملا في ابنته الأخيرة استشهاد، وكانت وفاء كبرى أولاده وكان عمرها أربعة عشر عامًا يوم أن تعرفت عليها، وكانت محجبة مثل أمها، وكان من أبرز ما رأيته في بيت الأستاذ المرشد حرصه على الفصل بين غرف البنين وغرف البنات.

أذكر أن أخي سيد جاءني ذات يوم وكانوا قد حددوا إقامة الأستاذ المرشد، وقال لي: ستذهبين لبيت المرشد العام، فقلت له: كيف سأذهب؟ فقال: في وقت متأخر حين ينصرف المخبرون عن البيت. وقد أخذني أخي سيد مساء وأوصلني إلى بيت الأستاذ المرشد، وهناك قابلتني وفاء وقالت في تعجب: أهو أنت؟ ثم أخذتني إلى حجرتها ونمت معها في غرفتها الخاصة، وقبل الفجر أيقظتني لنصلي الفجر خلف والدها الذي التفت لي بعد الصلاة وقال: يا أخت فاطمة أنت ستخرجين معي الآن، فخرجنا وأنا أسير خلفه وهو يسير أمامي، وقد حاول ابنه سيف الإسلام أن يتبعنا فنهره وأمره بالرجوع، وكنا في الحلمية الجديدة فأوقف سيارة أجرة وركبنا إلى منزل الأخ محمود الجوهري، وأتذكر أنني لاحظت أثناء دخولنا الحارة أن هناك إخوانًا يراقبون البيت من السطح، وقال لي الأستاذ المرشد: اذهبي للأخت أمينة بالداخل، ولما قابلت الأخت أمينة زوجة الأستاذ الجوهري قالت لي: أنت مهمتك انتهت هنا، وعلمت منها أن بالداخل الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين، ولكن لم أعلم ما الموضوع الذي دار بينهما.

مع نساء آل المرشد في جنازة من غير مشيعين!

أذكر أنه ذات يوم (١٢ فبراير ١٩٤٩) جاء إلينا الأخ عبد اللطيف مكي (الذي تزوج أختي خيرية) وأخبرني بأن الشيخ حسن البنا اغتالوه بالرصاص أمام جمعية الشبان المسلمين في شارع الملكة نازلي، فأصابتني صدمة عنيفة صرت أصرخ معها وأقول:

أنا لا أريد الحياة بعد هذا الرجل! كنت أقدره كثيرا وأراه شيخا ومرشدا جليلا أكرمني الله به وكان مَن شَرَح صدري للإسلام.

ولكنني سرعان ما استوعبت ما جرى وتمالكت وخرجت مسرعة إلى بيته في حي الحلمية الجديدة الذي كان محاطًا بقوات الشرطة، ونجحت في أن أخترق الحصار المضروب على البيت من كل الجهات، فدخلت ولم يكن في البيت من الرجال إلا أبوه الشيخ عبد الرحمن البنا، كان جميع من في البيت من النساء، فكانت زوجته والتي كانت حاملا وقتها ووضعت بعد وفاته فتاة سميت «استشهاد» تذكيرا بما جرى لوالدها الشهيد، ووجدت كذلك أخواته: فاطمة البنا زوجة الأخ عبد الحكيم عابدين سكرتير الجماعة، وفوزية البنا زوجة الأخ عبد الكريم منصور المحامي، والذي كان معه في الحادث، وبناته: وفاء وسناء وهالة ورجاء... وأذكر أن ابنته وفاء كانت منهارة تماما، وكانت مستلقية على السرير وتُردد في ذهول قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾، وقد أخذت أواسيها حيث كانت صديقة مقربة لي، وكان أبوها دائما يوصيها فيقول لها: لا تخرجي إلا مع الأخت فاطمة.

قامت شقيقة الإمام وهي زوجة عبد الحكيم عابدين بتسخين الماء لغسل الشهيد، وقام والده بتغسيله وتكفينه، ولم يكن هناك من يحمل الشهيد معنا فحملته أنا وفاطمة ووالده الشيخ عبد الرحمن، وأنزلناه حيث كانت سيارة البوليس تنتظر أمام البيت وأخذوه إلى المقابر ومنعوا أي إنسان من الخروج وراء النعش إلى المقبرة حيث استلمت المباحث النعش وحمله الجنود للمقبرة ودفنوه من غير حضور مشيعين، ومن غير تقبل العزاء!

الزواج من يوسف هواش والتعرف بسيد قطب

تأخر زواجي بالنظر إلى سن الزواج في هذه الفترة، والحق أنني كنت غارقة في أعباء أسرتي الصغيرة، وكنت شديدة الحرص على أن أطمئن أولا على زواج أخواتي البنات، وذات مرة وكنت قد قاربت الخامسة والثلاثين من العمر جاءني أخي سيد أبو النور، وقال لي إن الأستاذ محمود الجوهري المسئول عن قسم الأخوات المسلمات في الجماعة قد أخبره برغبة أحد الإخوة في الزواج مني، فسألت أخي عن مؤهلاته فقال إنه يحمل شهادة متوسطة؛ دبلوم صنايع، فما كان مني إلا أن رفضت، فرد أخي قائلا: أنت ليس معك إلا شهادة كفاءة المعلمات! فقلت له: ولكنني بعد انضمامي إلى الأخوات أصبحت شيئًا آخر! فقال لي: هو أيضًا مثلك من الإخوان! ثم بدأ يقص عليَّ حكايته حتى أطمئن إليه. وأخبرني أنه تعرف على هذا الأخ الذي يطلب يدي من خلال الأسرة التي ينتمي إليها في الجماعة والتي كانت تضم معه الأخ الدكتور أحمد الملط والحاج راضي سلايمة ـ وهو فلسطيني كان يمتلك محل بقالة كبير (سوبر ماركت)، وقال لي: إننا وأثناء تعرفي على أفراد الأسرة كان من بينهم رجل وسيم جميل الخلق ومهذب فقلت في نفسي إن أختي فاطمة وبعد طول صبرها معي تستحق أن تتزوج من رجل كهذا.. ثم إذا به يتقدم لك.. وسألني أخي: ما رأيك؟ فوافقت دون أن أراه! وكان هذا الأخ هو محمد يوسف هواش الشهيد الذي أعدم مع الأستاذ سيد قطب في عام ١٩٦٥، رحمة الله عليهما وعلى جميع شهداء الإخوان.

كان محمد يوسف هواش من أسرة كريمة وطيبة ينتهي نسبها للخزرج، وكانت أسرته ميسورة الحال تعيش وتعمل في الزراعة في قرية كفر الحمام في مركز بسيون

بمحافظة الغربية، ثم انتقلت الأسرة إلى كفر الدوار بمحافظة البحيرة، وكان له من الإخوة ستة ذكور هو أكبرهم جميعا، ويليه بالترتيب أحمد وعبد الحميد ورمضان وبسيوني والسيد وعبد الفتاح، وكانت له أخت وحيدة.

حين تقدم محمد يوسف للزواج مني كان أصغر مني بخمس سنوات تقريبا؛ حيث إنه من مواليد ٢١ أكتوبر عام ١٩٢٢، وكان حاصلا على شهادة دبلوم المدارس الثانوية عام ١٩٤٣ قبل أن ينتقل للقاهرة ويعمل بمصانع الشبراويشي للعطور في حي مصر القديمة.

وقد خطبني محمد يوسف هواش من أخي سيد أبو النور مدة سنة دون أن أراه! وكان كلما قابل أخي في درس الثلاثاء يقول له: ما زلنا على عهدنا، وكان السبب في تأخيره للزواج كما علمت لاحقا هو وجود نزاع بين عائلته وعائلة عمدة بلدتهم، فكان لا يريد إتمام الزواج إلا بعد أن يفض هذا الخلاف.

وقد أصابني الضيق من طول الخطبة دون أي تقدم في الارتباط بل ودون أن أراه فقلت لأخي ساخرة وغاضبة ذات يوم: قل لصاحب عهدنا أن يفض عهدنا!! وقد كان فأبلغه بقراري فض الخطوبة أو العهد، ولكن بعد سفري إلى أهلنا في التل الكبير وصلتنا برقية من أخي سيد يقول فيها: احضري فورا فعقد قرانك يوم الأحد!

تعجب والدي من برقية أخي وسألني ما العمل؟ فقلت له لنسافر! وفعلًا قام والدي بعمل إجازة وسافرنا إلى القاهرة، وتم عقد القران والذي اكتفى فيه محمد يوسف هواش بحضور أحد أعمامه الذي كان يعمل موجها بوزارة التعليم.. كل ذلك ولم أكن قد رأيته بعد! فقط كنت أثناء خطوبتنا قد سألت حكيمة اسمها «كوكب» كانت تحضر بعض دروس الأخوات التي كان يلقيها عليهن محمد يوسف هواش أن تصفه لي فأثنت عليه خيرًا.

وفي يوم عقد القران جاء الشيخ عبد اللطيف الشعشاعي في شعبة الإخوان بالمنيل وكان مرتديًا عباءة وأخذ ينشد ونحن نردد وراءه: «أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم»، ثم قال لمحمد هواش: تفضل يا عريس. وكانت هذه أول مرة أراه فيها.. فجلسنا في صالون المنزل ودار بيننا حديث قصير أخبرني فيه أنه رآني مرتين قبل أن يخطبني!

كانت المرة الأولى التي رآني فيها عندما أراد البوليس القبض على الأخوين سعيد رمضان ومصطفى مؤمن ووقع الاختيار على منزلنا بباب الخلق ليختبئا فيه حيث كان يتبع الأوقاف وكان ذا حديقة كبيرة، ساعتها طلب مني أخي سيد أن أذهب مع إخوتي إلى شعبة الإخوان بالجيزة بعد أن نأخذ ما يلزمنا من الملابس لمدة أسبوع ونأخذ معنا مفتاح شقة الأخ مصطفى كامل بالجيزة لنقيم فيها لأنه كان مسافرا إلى بلدتهم في الإجازة على أن يختبئ الأخوان سعيد رمضان ومصطفى مؤمن في بيتنا.

وذكّرني محمد هواش أنه الذي كان في استقبالنا عند وصولنا إلى شقة الجيزة وأنه سألني ساعتها: كيف أحوالكم؟ فقلت له بل كيف حالكم أنتم؟ وقال لي إنه أعجب بي وقتها بسبب هذا الرد الذي يبين اهتمامي بالدعوة.. وتذكرت ساعتها أننا كنا طوال الأسبوع الذي قضيناه في هذه الشقة نكتب ورقة بما نحتاجه ونضعها مع النقود أمام الباب ليقوم هو بإحضار كل ما نحتاجه.

أما المرة الثانية التي قال إنه رآني فيها فكانت عندما كنت مشرفة على رحلة المدرسة إلى مصانع الشبراويشي وقام العاملون بإهداء التلاميذ بعض العطور والهدايا، وطلب مني أن أكتب كلمة شكر في سجل التشريفات بالمصنع، وقد وقّعت في نهايتها باسمي (فاطمة محمد عبد الهادي)، وعندما هممنا بركوب السيارة عائدين إذا بأحد العاملين ينادي بأن هناك مكالمة تليفونية لفاطمة محمد عبد الهادي! فتعجبت من ذلك إذ لا أحد يعرف بوجودي في الرحلة! فذهبت ومعي زميلاتي وإذا بشاب يعطيني سماعة الهاتف وكانت على الطرف الآخر الحكيمة كوكب تقول إنها تريد أن تنشئ شعبة للأخوات في المستشفى، فاستغربت لها كيف عرفت بوجودي في الرحلة، لأعرف بعد ذلك من محمد هواش أنه هو نفسه كان الشاب الذي أعطاني سماعة التليفون، ولم يكن من العسير أن أستنتج أنه هو من اتصل بكوكب وطلب منها أن تكلمني لأعود ويستطيع رؤيتي بوضوح وتأن.

وبعد عقد القران حدثت لنا بعض المشاكل حيث تصادف أن قام محمد هواش - وقد كان يعمل رئيسا لمكتب الشحن في مصانع الشبراويشي - بتأسيس اتحاد للعمال للدفاع عن حقوق العاملين، فطلبوا منه حل هذا الاتحاد فرفض.. فقاموا بفصله.

وفي ذات يوم وقف محمد هواش يتحدث في حفل زفاف أحد الإخوة وأطال في الحديث كعادته في الخطابة حتى سقط مغشيًّا عليه، فحمله الإخوان إلى مستشفى قصر العيني، فكانت المفاجأة حيث زارتنا في بيتنا بعدها مجموعة من مكتب الإرشاد ودخل عليَّ أخي ليخبرني أن محمد هواش مصاب بمرض معدٍ، وكان يتوقع أن أفسخ العقد كما نصح بذلك الإخوة بل وطلب أن نشرع في تأجير حجرة لنضع فيها الأثاث الذي اشتريناه وكنت وقتها قد انتهيت من الاستعداد للزواج، فأبلغته برفضي الحاسم أن أتخلى عن زوجي في مرضه على الرغم من أننا لم نزف بعد، وأصررت على تمسكي به على الرغم من نصائح بعض الإخوة والأخوات، حتى إن الأخت آمال العشماوي قالت لي إنها مجازفة مني أن أتزوج به بعد أن صار مريضا بمرض معدٍ.

تمسكت بمحمد هواش واعتبرته زوجي وله عليَّ كل حقوق الوفاء على الرغم من أن ما يجمعنا هو العقد فقط، وطلبت من أخي إخراجه من مستشفى قصر العيني والذهاب به إلى طبيب متخصص في أمراض الصدر.. وقد كان. وقد رافقته إلى الطبيب الذي سألنا إن كان قد تعرض وهو صغير لبرودة شديدة؟ فقال له محمد إنه وهو صغير يتعلم في مدينة دسوق انضم إلى الإخوان المسلمين في محافظة الغربية مع الأستاذ البهي الخولي وعندما بدأت اعتقالات الإخوان الأولى في عام ١٩٤٨ اعتقلوه مع الأستاذ الخولي وسجن معه، وكان ذلك في شهر ديسمبر، فأدخلوهما زنزانة مليئة بالمياه فكانت السبب فيما أصابه من مرض بالصدر.

وقد طلب الطبيب أن يأكل نصف كيلو كبدة يوميا لمدة شهر متواصل قبل الزواج، وأن يداوم على شرب عصير الطماطم أو الفواكه، وقد نفذنا تعليماته، وأكرمه الله بالشفاء سريعا فتم زفافنا في نهاية عام ١٩٥٣ بعد خطبة استمرت عاما بالكامل، وسكنّا في عمارة على النيل بروضة المنيل، وكان يقيم في الطابق الرابع منها أنور السادات عضو مجلس قيادة الثورة وقتها، وكان متزوجا بزوجته الثانية السيدة جيهان، ولهذا السبب كان بأسفل العمارة كشك حراسة يجلس فيه بعض الحراس والمخبرين.

واكتشفت أن الدعوة أهم لزوجي من الدنيا

كان زوجي محمد يوسف هواش لا هم له إلا الدعوة التي ينفق لها كل وقته ويضحي لها بالغالي والنفيس، وقد أتعبني كثيرا في بداية زواجنا بسبب أنه لم يكن يرى أو يفكر أو يعمل إلا للدعوة، أتاني ذات مرة وكنا عروسين جديدين لم يمض على زواجنا إلا القليل، وقال لي إن بنات أحد الإخوان يعانين حالة نفسية سيئة بسبب سجن أبيهن وطلب مني أن أحضرهن للبقاء في بيتنا عدة أيام حتى تهدأ نفوسهن! فاستفزني أن لم يراع أنني ما زلت عروسًا جديدة، فقلت له بتهكم: لا مانع ولكن لنكتب على باب البيت يافطة «عيادة نفسية»!! وكانت تلك الكلمة كفيلة بأن يحزن كثيرا ويخاصمني عليها أسبوعًا كاملا!

أيضًا كان هناك فتى صغير بحي مصر القديمة يتولى محمد هواش أمره وينفق على تربيته، وكان يعامله كما لو كان ابننا؛ فما أن نجلس لنتناول طعام الغداء حتى يدق جرس الباب فأقوم لأفتح فيدخل الفتى ويجلس مكاني وأنتقل أنا لتناول الغداء في المطبخ! حتى إن الشغالة التي كانت تعمل عندنا اعتادت الأمر فكانت تطلب مني أن آخذ معي طبقي في المطبخ! وللحق فقد أزعجني ذلك كثيرا، وكنت عروسا تريد أن تعيش وتتمتع بخصوصياتها فطلبت منه ذات مرة ألا يأتي الفتى كل يوم وقت الظهر حتى أستطيع الغداء معه وحدنا فما كان منه إلا أن غضب بشدة وسألني مستنكرًا: ألستِ مسلمة؟! إن هذا شاب يتيم أربيه لله.

وقد أخبرتني إحدى الأخوات اسمها أم أحمد وكانت تعمل عنده أن ملابسه كان يعيرها لغيره من الإخوان، بل ويؤثر غيره بالطعام الذي يحبه حتى إذا شعر بالجوع لا يجد سوى قطعة من الجبن يأكلها ويحمد الله، بل وأذكر أننا بعد عقد القران وقبل زفافنا مباشرة ركبنا معا الأتوبيس لشراء شبكة الفرح فرأيت إحدى أكمام الجاكت الذي يلبسه وهي منحولة من كثرة الاستعمال فقال لي: يا فاطمة.. نحن نتاجر مع الله تجارة لن تبور بإذن الله.

كان يوسف هواش يقضي يومه كاملا في العمل مع الإخوان فلا يأتي إلى البيت إلا متأخرًا ربما في الواحدة أو الثانية بعد منتصف الليل، وكان يأتي بصحبة الأخ كمال

السنانيري الذي كان يسكن بجوارنا، وكانت تجمعهما علاقة وطيدة ومحبة؛ رحمة الله عليهما، وكان يشفق عليَّ من السهر في انتظار عودته فكان يطلب مني أن أترك له الطعام على المائدة ثم أنام على أن يتناول هو العشاء عند عودته من دون أن يوقظني، وكان هذا يضايقني فكنت أقول له: لا يمكن أن تهجر البيت من أجل الإخوان.

لقد كانت حياتنا شاقة خاصة في بداية الزواج؛ خطبني عام ١٩٥٢ عاما كاملا دون أن أراه، ثم تزوجنا في نهاية عام ١٩٥٣، ومكث معي مدة سنة تقريبا، ثم بدأ الصدام مع حكومة الثورة فاختفى معظم عام ١٩٥٤ حيث قضى عشرة أشهر تقريبا هاربا من الملاحقة، وحين اعتقلوه دخل السجن ولم يخرج إلا عام ١٩٦٤ مريضًا متعبا، فبقي معنا فترة بسيطة جدا اعتقل بعدها في شهر يوليو عام ١٩٦٥ مع الشهيد سيد قطب، واستمر في السجن إلى أن صدر الحكم بإعدامه مع سيد قطب وعبد الفتاح عبده إسماعيل، وأعدم في ٢٩ أغسطس من عام ١٩٦٦.. وربما لم تتجاوز حياتنا معا شهورا معدودة فيما قضى معظم حياته إما في السجن أو هاربا من الاعتقال.

لقد كان الشهيد محمد هواش رجل دعوة نذر لها كل حياته تقريبا، فكان شديدا في معاملته معي ربما بحكم نشأته الريفية التي أثرت على نظرته للمرأة؛ فكان يرى أنها يجب أن تنفذ ما تؤمر به دون نقاش، ولكن لما كنت كثيرة النقاش وأحيانا الاختلاف معه كان يقابل ذلك بغضب وحزن، وكان يقارن بيني وبين والدته في معاملتها لوالده، لقد كان يرى في والدته المثال للمرأة المسلمة التي تطيع زوجها وتأتمر بأمره، حتى إنه غضب ذات مرة لخروجي لأداء واجب العزاء في إحدى الأخوات ـ وكانت شقيقة زوجة أخي ـ دون انتظار إذنه على الرغم من صلة القرابة التي تجمعني بها، وعلى الرغم من أنه لم يكن موجودًا وقت الوفاة ليأذن لي!

سيد قطب الإنسان الذي لم يعرفه الناس على حقيقته

ولكن للحق فقد تغيرت معاملته تماما لي بعد خروجه من المعتقل عام ١٩٦٤، فقد شعر بمقدار ما عانيناه في غيابه وتضحياتنا من أجله، ورأى كيف كنت أقوم بخدمة الدعوة بإخلاص وتفانٍ ولا أشكو المعاناة التي استمرت قرابة عشر سنوات، فكان بعد

خروجه من السجن إذا رآني مهمومة أو متعبة يحاول أن يخفف عني ويواسيني، وكان يحنو عليَّ ويأخذني كالطفلة على صدره ويقول لي: هذه الرأس التي ضحت صاحبتها وعملت كل هذا من أجلي لا توضع على الوسادة بل مكانها ذراعي.. وكان يطلب مني أن أسامحه على شدته معي في أول زواجنا، وكان يقول لي كثيرًا إنه لم يكن يعرف حقيقة معدني إلا بعدما رأى تضحياتي معه وعملي من أجل الدعوة.

والحق أيضا أنه تأثر في ذلك بالأستاذ سيد قطب خاصة في الفترة التي صاحبه فيها في مستشفى سجن طرة حين اطلع على طريقته الراقية في التعامل مع أخواته البنات اللائي كنّ يأتين لزيارته في المستشفى، ويبدو أنه تغير تماما في نظرته للمرأة وتعامله معها بفعل الأستاذ سيد قطب الذي كان حنونا ورقيقا للغاية مع أخواته.

وقد كانت فترة صحبتهما في المستشفى التي نقلا إليها من السجن مهمة جدا في حياة كل منهما، ومثلما تأثر بسيد قطب فقد تأثر سيد قطب به، وقد أخبرتني الأخت حميدة قطب أن الكثير من أفكار محمد يوسف هواش قد تسللت إلى عقل سيد قطب وقلبه، ونقلت عن أخيها الشهيد سيد قطب أنه تأثر بيوسف هواش كثيرا خاصة فيما كَتَبه في كتابه الشهير «معالم في الطريق»، وهو ما كان سببا في إعدامه مع الأستاذ سيد قطب.. رغم أنه لم يكن له حضور مؤثر في تنظيم ١٩٦٥.

لقد ارتبط زوجي الشهيد محمد هواش بالشهيد سيد قطب ارتباطا استثنائيا؛ فقد عاشا معا ما بين السجن ومستشفى السجن عشر سنوات كاملة قبل أن يعدما معا عام ١٩٦٦، ولم تكن مجرد زمالة سجن فقط بل زمالة أرواح واهتمام مشترك بالإسلام والمسلمين.

ويجزم الأستاذ أحمد عبد المجيد والذي كان معتقلا معهما أن الشهيد سيد قطب استفاد من الشهيد محمد هواش في خطه الحركي وفي الإلمام بسيرة أحوال جماعة الإخوان المسلمين والدروس المستفادة منها، حيث كانت فترة ملازمة الشهيد سيد للإخوان قبل عام ١٩٥٤ قصيرة إلى جانب أنه لم يشهد فترة الإمام حسن البنا، كما استفاد الشهيد هواش من فكر الشهيد قطب وعلمه ورحلته في عالم البحث والاطلاع والمعرفة والتجارب، فاختلطت التجربتان وظهرت آثارهما في كتابات الشهيد سيد

قطب، ويروي الأستاذ أحمد عبد المجيد أن زوجي الشهيد هواش قال له ذات مرة وهم في طوابير السجن الحربي: إن كل باب وكل عبارة في كتب الأستاذ سيد أعرف متى كتبت وأعرف مناسبتها ومناقشاتها حتى وصلت بصورتها التي ظهرت بها.

وللتاريخ أقول إن سيد قطب لم يكن متطرفا أو متشددا كما يصفه الكثيرون؛ فقد كنت أراه عندما كنا نذهب لزيارة زوجي الشهيد محمد هواش في مصحة ليمان طرة وكانا رفيقين بها، وكنت أذهب مع أمي ومعي سمية وأحمد، فكان الأستاذ سيد قطب يأخذ الأولاد ليتنزه بهم في حديقة المصحة ليترك لنا فرصة للحديث أنا وزوجي، وكنت أشعر بأنه إنسان بسيط جدا ومتواضع، وهذا ما خرجت به من معرفة عشر سنوات متواصلة كانت مع زوجي الشهيد في سريرين متجاورين في المصحة.

وأذكر عندما خرج من المعتقل عام ١٩٦٤ أنني ذهبت لزيارته، ولم يكن زوجي محمد هواش قد خرج بعد من السجن، ودار بيننا حديث طويل كان فيه أنني سألته: لماذا لم يتزوج؟ فأخبرني أن والدته كانت قد أوصته ـ قبل وفاتها ـ بشقيقتيه أمينة وحميدة، وأكد لي أنه ما إن يطمئن عليهما ويزوجهما سيتزوج إن شاء الله، وقد زوّجهما بالفعل، ولكنه لم يتزوج بسبب استشهاده.

وكنت قد رشحت له الأخت فاطمة عيسى التي تزوجت فيما بعد الأخ المهندس فوزي نجم والذي كان معتقلا، وكانت الأخت فاطمة عيسى واحدة من عشر أخوات تزوجن من الإخوان أثناء اعتقالهم، وأذكر منهن الأخت أمينة قطب التي تزوجت من الأخ كمال السنانيري، والأخت مديحة بنت أخت الشهيد سيد قطب.

أول فصول المواجهة بين الأخوات ونظام ثورة يوليو

في بداية عام ١٩٥٤ بدأت نُذر التوتر بين الإخوان المسلمين وحكومة ثورة يوليو ثم بدأت عملية الاعتقالات الواسعة للإخوان، وذات يوم داهمت شقتنا قوة كبيرة من المباحث أخذت تفتش الشقة وتعبث بمحتوياتها، لم يكن محمد هواش موجودا وقتها داخل الشقة بل كان خارج البيت، وتصادف أنه وأثناء دخوله البيت سأل أحد المخبرين على باب العمارة وعلم أن المباحث في شقتنا وتبحث عنه فهرب على الفور وظل مختفيا عن الأنظار طيلة عشرة أشهر كاملة.

في هذه الفترة بدأ كثير من الإخوان في الهرب بعيدا عن بيوتهم، بل أخذ بعضهم في الهرب خارج البلاد بعدما توسعت الاعتقالات وبدأت المحاكمات الظالمة، وكان ممن نجحوا في الفرار خارج مصر الأخ حسن العشماوي شقيق الأخت آمال وابن العشماوي باشا، وقد سافر سرا إلى ليبيا ومنها إلى الكويت، وتبعه في ذلك الكثير من الإخوان. وقد كنت وقتها أحاول الهروب من رقابة المباحث لأقابل زوجي محمد هواش الذي كان مختفيا ويغير أماكن إقامته بانتظام، وذات مرة قابلته أمام قسم البوليس في حي المنيل وقلت له: لماذا لم تسافر كما فعل الكثيرون من الإخوان؟ ماذا تنتظر؟ هل تنتظر حتى تُعتقل وتُسجن مع الآخرين؟ فأجابني بثبات: والله لن أسافر ولن أترك الأطفال الذين تركهم آباؤهم وسجنوا ظلما أو سافروا هربا من الظلم.. وقال لي إنه سيبقى ليرعى بيوت الإخوان المعتقلين أو المطاردين الذين اضطروا للهرب.

كنت أقابل زوجي من وقت لآخر وبطرق صعبة أقضي فيها معظم اليوم في الهرب من رقابة الأمن، وكان يرسل لي بين وقت وآخر لأقابله إما في الشارع أو في محطة

أتوبيس أو في بيت أحد من الإخوان حيث تكون هناك فرصة أفضل للبقاء معه أطول فترة ممكنة.

لقد ظل زوجي محمد هواش هاربا من المباحث نحو عشرة أشهر، وطيلة هذه الشهور كان يتنقل بين عدة أماكن وكانت يتصل بي عن طريق بعض الإخوان، ذات يوم جاءتني الأخت سنية الوشاحي وقالت لي: إن الأستاذ عندنا ويريد أن يطمئنك عليه فتحايلت على المخبرين واختفيت منهم حتى تمكنت من الوصول لبيت الأخت سنية وقابلته هناك، وبقيت معه معظم اليوم، ومرة أخرى جاءتني أخت اسمها أم صلاح؛ وكانت بطلة وشجاعة ومن أهم الأخوات معنا رغم أنها لم تنل قسطًا من التعليم، كانت تسكن بمصر القديمة وطلبت مني ارتداء حلق وإيشارب وعدم ارتداء الطرحة وذلك للتمويه على المخبرين، كما طلبت مني أن أحضر معي ابنتنا سمية، وقد قضيت وقتًا طويلا أضلل المخبر الذي يتبعني ولم أنجح ورغم ذلك ذهبنا إلى بيتها وقابلت زوجي وقضيت معه وقتًا طويلا، وعلى الرغم من أن المخبر تبعني إلى البيت فلم يحدث شيء؛ وكان الأغلب أنه لم ينتبه إلى وجود زوجي في المنزل.

في فترة عشرة الشهور هذه كنت حاملا في ابني أحمد، وقد قابلته مرة أخرى وأنا على وشك الولادة به، كانت السلطات قد قامت بنقلي من وظيفة ناظرة إلى وظيفة مدرسة بكوبري القبة، وكنت أترك ابنتي عند والدي أو عند بعض الأصدقاء إذا غاب الوالدان، وعند عودتي من العمل ذات مرة من كوبري القبة إلى محطة مصر التي أستقل منها أتوبيس رقم «١» الذي يذهب إلى المنيل وجدت زحاما شديد وارتباكا في السير حيث كانوا ينقلون تمثال رمسيس إلى ميدان المحطة في نفس الوقت الذي ينصبون تمثال نهضة مصر عند جامعة القاهرة، فتسبب ذلك في أزمة سير وطال وقت الانتظار، وكانت تشاركني السير تلك المسافة الطويلة زميلة لي تدعى إحسان؛ وكانت حاملا مثلي أيضًا، وكنا غير قادرتين على السير، كل ذلك وكان هناك مخبر يلاحقنا.

فجأة وأثناء سيرنا وجدت زوجي في مواجهتي وقال لي: امشي عكس الاتجاه وقابليني عند المحطة.. وقد لاحظتْ زميلتي ما اعتراني من تغير فتهربت منها وقلت لها إنه بسبب الزحام، ثم تظاهرت برغبتي في السير قليلًا، وكانت هي تقف والمخبر

بجانبها، فأخذت أمشي، وعندما التقينا أنا وزوجي تكلم معي قليلا ثم طلب مني أن أخبر أهله في البلد عندما أضع المولود، واستمر وقوفنا في المحطة حتى جاء الأتوبيس مزدحمًا وركب كل الناس، وصعدت فوجدته قد صعد من الدرجة الأولى وجلس في المقعد الذي يلي الدرجة الأولى مباشرة، وكان المخبر قد صعد من الدرجة الأولى ووقف على الباب؛ أي كان في مواجهة محمد مباشرة، وعندما صعدت نهض لي زوجي فجلست أنا مكانه، ولم أره بعد ذلك حتى قبض عليه في أحد المساجد وذلك بعد إنجابي أحمد، وكانت أول مرة أراه بعدها حين زرته في مصحة سجن طرة.

وقد عانيت كثيرا من مضايقات المباحث وحصارها لي أثناء محاولاتها القبض على زوجي، بل ووصل بهم الأمر ذات يوم أن فكّروا في أخذي كرهينة لإجباره على تسليم نفسه؛ كنت وقتها أقوم بمهمة إعداد الطعام للمعتقلين من الإخوان، وكانت دائما معي أختي كاميليا وابنتي سمية لا تفارقاني، وكان يقوم بحمل الطعام عنا إلى السجن إليهم رجل طيب اسمه حمزة، لم يكن من الإخوان ولكنه كان لا يتأخر عنا بخدماته العظيمة، وفوجئت ذات مرة ونحن عائدات إلى المنزل بأربعة من الرجال أحاطوا بنا على باب بيتنا مثلما تحيط الشبكة بصيدها، ونادى أحدهم على مخبر الحراسة الخاص بأنور السادات ليحضر تاكسي فرفض الرجل، فصرخت فيه بصوت عال: لمن يحضر التاكسي؟ قال: لتركبي فيه. فقلت له: بل تركب فيه أمك أو أختك أما أنا فلا، فقال: بل ستركبين رغمًا عنك فخرجت عن شعوري وصرخت بأعلى صوتي وقلت: إن الظفر الذي يطير من قدمي يساوي رئيس جمهوريتكم الذي يهين الإخوان! أنتم تضعون لافتة «ارفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستعباد» ونحن في أذل العهود! خرجت تماما عن إرادتي وناديت بأعلى صوتي: انزل يا أنور السادات يا رئيس المؤتمر الإسلامي.. أجر امرأة جارة لك.

وإذا بأنور السادات ينزل من السلم ويسأل عما يحدث فقلت له: انظر بنفسك.. تهان النساء في عهدكم الأسود... وكررت الجملة عليه مرتين، وللحق فقد كان في الرجل مروءة وبدا عليه الاستياء مما رآه فطلب منهم عدم التعرض لي ونادى على أحد الضباط وقال له: انظر ماذا تريد الست وافعله.

وكانت الحاجة نعيمة زوجة الإمام حسن الهضيبي المرشد الثاني العام للإخوان المسلمين جارتنا في المنيل، وكانت قد ألحت عليَّ عندما اختفى زوجي محمد لأقيم معها، وكانت الحكومة قد اعتقلت كل رجال الإخوان بمن فيهم الأستاذ الهضيبي وابنه أسامة الذي لم تكن له أي علاقة بالإخوان والذي كان يضحك ويقول: لم أكن أصلي وتعلمت الصلاة في السجن!

كنت دائما أرفض دعوة الحاجة نعيمة للإقامة عندها وأفضل أن أبقى في بيتي، ولكن عندما جرت محاولة خطفي وتدخل السادات وسألني الضابط أين تريدين الذهاب؟ قلت له: أذهب إلى بيت سيدكم وتاج رأسكم مرشد الإخوان! وعند ذهابنا إلى هناك وفي الطريق أراد المخبر أن يحمل عني ابنتي لأني كنت حاملًا في ابني أحمد ومتعبة ولكنني رفضت حيث خفت أن يخطفها!

وصلنا إلى بيت المرشد وفتحت لنا الشغالة (زهرة) ثم جاءت السيدة نعيمة وابنتها علية واستقبلتاني بترحاب وأخذتا تهدئاني، وفجأة وفي الساعة الثانية ليلا وجدنا طرقًا عنيفا على الباب ثم اقتحمه نحو اثني عشر رجلًا ؛ ففزعت السيدة نعيمة وظلت تتساءل: ماذا يحدث؟ ماذا يحدث؟ وقالت بأسى وأسف: هل يدخل علينا رجال الأمن وكل رجالنا في السجون؟! ثم استجمعت نفسها وصاحت معنفة أكبرهم: هل من الرجولة وحُسن التربية أن تأتي باثني عشر رجلًا من أجل مطاردة امرأة ضعيفة في بداية زواجها؟!

فقال لها بخجل: أنت لا تعلمين ماذا قالت؟ وأخبرها بما قلته من سب للنظام والرئيس، فكان رد السيدة نعيمة: وهل تجاوزت الواقع أو الحقيقة فيما قالت؟! ثم أمرت الشغالة بفتح الأبواب لقوات الأمن حتى يروا إذا كنّا نخبئ عندنا رجالا! وأحس الضباط بالحرج فلم يكن أمامهم إلا الخروج واحدًا بعد الآخر، وقد جاءوا معتقدين بأن زوجي وعددا من الإخوان مختبئون في بيت المرشد.

مع أمينة وحميدة قطب

وفي بيت الأستاذ حسن الهضيبي كانت بداية معرفتي بالأخوات أمينة وحميدة قطب شقيقتَي الشهيد سيد قطب، فذات يوم من الأيام التي قضيتها هناك جاءت الخادمة

وأخبرتني بوجود ضيوف يرغبون في مقابلتي، وقالت: هناك أختان جديدتان قد انضمتا إلينا، فذهبت لأتعرف عليهما وكنت حذرة في بداية معرفتي بهما، أما أول معرفتي بالشهيد نفسه فكانت في السجن أثناء زياراتي لزوجي محمد الذي كان ملازما له.

والحقيقة أنهما كانتا غاية في الرقي والأدب، ويبدو عليهما أنهما من بيت نبيل وأصيل، ورغم أنهما لم يكملا تعليمهما إلا أن مستواهما في الثقافة والأدب كان لا يبارى، وكانت أمينة لها نفسية شاعرة ومرهفة وكانت راقية ورقيقة ولديها طول بال وهدوء غريب، وكثيرًا ما جاءت لمواساتي بعد استشهاد زوجي مع أخيها الشهيد سيد، وكانت تقرض الشعر خاصة عند استشهاد زوجها الأستاذ كمال السنانيري عام ١٩٨١، وقد أهدتني يوما نسخة من أحد دواوينها كتبت فيها إهداء راقيا قالت فيه: إلى من سبقتني في ساحة الجهاد.. وكانت كثيرا ما تسألني كيف صبرت لنصبر مثلك!

ومما أذكره للأخت أمينة قطب أنه لما صدر حكم الإعدام على أخيها الشهيد طلبوا منها أن تحثه وتقنعه بالاعتذار لينال العفو لكنها رفضت بحزم.

أما الأخت حميدة التي تزوجت فيما بعد الأخ الدكتور حمدي مسعود فقد كانت نعم الأخت تضحية وجهادا، كما دخلت السجن الحربي في قضية تنظيم ١٩٦٥، وحكم عليها بالسجن مدة عشر سنوات، وما زلت أذكر كيف كانت تعد معنا الطعام وتذهب معنا للسجن لإطعام مسجوني الإخوان في قضايا عام ١٩٥٤، كما أذكر أننا كنّا معا أثناء مجزرة ليمان طرة التي قتل فيها كثير من الإخوان، وكنّا أمام السجن نبحث عن طريقة لتوصيل الطعام لما بدأ إطلاق الرصاص، فأخذنا في الفرار بعيدا عن السجن وأخذت المباحث تطاردنا أنا وهي، وقد كان لها ذكاء ونجابة أكرمنا الله بها لنهرب من المطاردة. ولم تنجب أمينة أو حميدة ذرية لهما. وقد توفيت أمينة قبل أعوام فيما تعيش حميدة مع زوجها في فرنسا.. أمد الله في عمرها.

كما كانت لهما أخت ثالثة كبرى اسمها نفيسة دخلت هي كذلك السجن الحربي، وهي أم رفعت الذي قتل تحت وطأة التعذيب في المعتقل، وأم الدكتور عزمي بكر الذي تسلم جثة الأستاذ كمال السنانيري بعد مقتله في عام ١٩٨١ تحت التعذيب في السجن.

وقد مكثت في بيت المرشد الأستاذ حسن الهضيبي مع زوجته وبناته شهرًا وأربعة أيام قررت بعدها الرجوع لشقتي، ولكنني رفضت العودة إلى نفس العمارة التي كنت أسكن فيها والتي كان يسكن فيها السادات، فأوصيت شغالة كانت تعمل عندي اسمها أم عزت بنقل الأثاث إلى الشقة التي كنا نسكنها من قبل في المنيل أنا وأخي سيد أبو النور.

كانت أختي كاميليا قد انتهت من دراستها وعُينت مدرسة في القناطر الخيرية وجاءت لقضاء الإجازة معي يومَي الخميس والجمعة، وفي منتصف الليل فوجئنا بجرس الباب يرن برعونة، وحين قلت: من بالباب؟ سمعت من يقول لي: افتحي وإلا كسرت الباب؛ وإذا برجل بوليس وقد وضع مسدسه في صدري ودفعني إلى الحائط فقلت له بتهكم: لقد تم تفتيشنا مئات المرات، فكان جوابه: ستظلين تفتشين وتفتشين.. ثم سألني عن مكان حجرة النوم ودخل، ثم سأل أين الدولاب؟ فقلت له انتظر لآخذ المرتب حتى لا تسرقوه كما سرق بعضكم من قبل بيوت الإخوان! فقال لي: أنت طويلة اللسان!

كان يقوم بالتفتيش وهو يصفر بفمه، وكان من المعتاد أن من يأتون في حملات التفتيش يكون عددهم اثنين من الضباط وثلاثة من المخبرين مع البواب، أما هذا الضابط فكان بمفرده ثم سألني فجأة: هل ستستمرين مع زوجك هذا؟ فلم أرد.. فأخذ يصول ويجول في صالة المنزل مستمرًا في الصفير ثم خرج. لقد كانت أختي ترتعش من الخوف خاصة بعد أن علمنا من بعض الأخوات أن بعض هؤلاء الضباط قد ذهبوا إلى بيوت الإخوان وهم في حالة سُكْر وسرقوا هذه البيوت.

رحلة معاناة الأخوات.. وأسر بدون عائل

اعتقلت المباحث زوجي محمد من أحد المساجد بعد عشرة شهور من الفرار، ودخل السجن ليقضي فترة الخمسة والخمسين عاما التي كان حُكم عليه بها! وهناك بدأت علاقته بالأستاذ سيد قطب التي بدأت في سجن طرة واستمرت في مصحة السجن بعدما نقل الاثنان مرضى للعلاج بها واستمرا معا ما بين السجن والمستشفى نحو عشر سنوات كاملة.

بعد القبض على زوجي بقليل وضعت ابني أحمد وسمّته أختي كاميليا أحمد جهاد محمد يوسف هواش، ثم أصبح من الصعب علي التنقل به وبسمية، فطلبت من أختي خيرية زوجة الأخ عبد اللطيف مكي أن تبقى معي خاصة بعد سفر زوجها إلى قطر؛ حتى أستطيع أن أترك سمية معها، ثم طلبت من الإدارة التعليمية نقلي إلى مدرسة قريبة من بيتي فنقلوني إلى مدرسة لرعاية الأحداث بمصر القديمة أصبحت فيها مسئولة عن الصف الرابع بعدما كنت ناظرة في مدرستي السابقة، وكانت مدرسة تضم أكثر الطلاب جنوحا وشراسة!

في بداية عملي كنت ما أكاد أنتهي من كتابة العنوان على السبورة وألتفت حتى لا أجد أحدًا من الطلاب الذين يتسللون هربا من الفصل! ذهبت أشكو إلى الناظرة وكان اسمها سكينة، وكانت تعلم أنني ناظرة من واقع ملف خدمتي فنصحتني ببعض طرق التعامل معهم، وقد حاولت التقرب إلى الطلاب والتفنن في الوصول إلى قلوبهم فتغيرت الصورة سريعا بعد ذلك، وارتبط معظم هؤلاء الطلاب بي وانصلح حال كثير منهم بعد أن كانوا جانحين، وأذكر أنه في يوم من الأيام رن جرس الباب ففتحته وإذا

بواحد من هؤلاء الطلاب وقد سلم عليَّ وقال لي إن معه رسالة من الأستاذ فسألته: أي أستاذ؟ فقال: زوجك! وتعجبت: ما صلته بزوجي السجين؟ وكيف عرف عنوان المنزل؟ فإذا به يخبرني أنه عمل بعد تخرجه في مصحة سجن طرة وهي المصحة التي نُقل إليها زوجي محمد بعد مرضه في السجن، وقد ظل يأتيني برسائل منه ما زلت أحتفظ بها كلها.

كانت قد مرت نحو ثلاث سنوات على سجن زوجي، حين رأيت ناظرة المدرسة ذات يوم حزينة، كان زوجي محمد وقتها مريضًا بمصحة سجن طرة فأصابني القلق وسألتها عن سبب حزنها فأخبرتني بأنه ينبغي عليّ التوجه إلى الإدارة التعليمية، فذهبت بسرعة، وهناك رأيت عددًا من المخبرين وكنت أعرف البعض منهم، كما كان هناك عدد من الضباط الذين طلب مني أحدهم التوقيع على تعهد بعدم إثارة الشغب والفوضى، وعندما أكدت له بأنني لا أثير شغبًا أو فوضى قال لي: أين زوجك الآن؟ قلت: في السجن، قال لي: هل لأنه سرق أو قتل؟ قلت: لا، بل لأنه من الإخوان المسلمين، قال: لذلك أنت ستوقعين على إقرار لنفس السبب، فقلت له: فلتتركني أكتب عبارة ثم أوقع بعدها، قال: ما هي؟ قلت: مع ملاحظة أنني ملتزمة بكل ذلك... فسكت الضابط ثم أخبرني أن تعليمات عليا كانت تريد فصلي ولكن الوزير قال: بعد أن أرى ملف خدمتها، ولما وجد أنه كله امتياز قال: إذا فُصلت هذه السيدة فسأقدم استقالتي! ثم سألني الضابط: هل بعد هذا تريدين أن تتسببي له في مشاكل؟! ثم أشار إليَّ بمكان لكتابة تلك العبارة وكانت تحت توقيعي مباشرة.. وبعد سنوات طويلة وعند إحالتي على المعاش ذهبت أستلم ملفي فوجدت هذا الجزء قد مُزق منه.

بعد أسبوعين فقط تصادف أنني توجهت إلى ناظرة المدرسة لأخبرها بانصرافي من العمل فوجدتها تبكي، فاعتقدت أنها تبكي لطارئ عندها أو لمشاكل مع زوجها الذي كان دائم الشجار معها، ولكن تبين لي أنها تبكي من أجلي؛ إذ وصلتها إشارة تليفونية بنقلي إلى محافظة كفر الشيخ وضرورة ذهابي لمكان عملي الجديد فيها في اليوم نفسه على الرغم من أنها تبعد عن القاهرة نحو مائتي كيلو متر!

وبالرغم من محاولتي الصمود والتماسك فقد خذلتني طاقتي ووجدتني أبكي

بحرقة هذه المرة، أحسست بهموم الدنيا كلها تطبق عليَّ، وشعرت بالظلم الصارخ الذي أذوقه ليل نهار، كان أحمد ابني قد قارب السنتين وأخته سمية قاربت ثلاث سنوات ولم يجلس أي منهما مع أبيه بعد، كان أخي سيد قد اعتقل هو الآخر ولما خرج ترك شقته وأقام معنا هو وزوجته وأولاده، وكانت أختي خيرية قد منعوا زوجها الشيخ عبد اللطيف مكي من العودة من قطر التي سافر للعمل بها فجاءت هي وأولادها للسكن معنا، ثم أشفق علينا أبي فقدم استقالته من عمله وأتى هو وأمي ليبقوا معنا في الشقة التي أصبحت مزدحمة.. ازدحم هذا كله عليَّ وأحسست بالظلم وأخذت في بكاء حار ومرير مرارة الظلم.

امتنعت عن الطعام فور سماعي خبر نقلي وأصابني الإعياء والمرض وعندما كشف عليَّ الطبيب قال إني لست مريضة ولكنه إعياء بسبب امتناعي عن تناول الطعام، فأمسك أخي سيد بابني الرضيع ورفعه عاليًا وهو يقول: حرام عليكم هذا الطفل الصغير! ثم أخذ الممرض يجمع أوراق الملف وخرجوا جميعا مسرعين.

فكرت في أمر نقلي الواجب تنفيذه فاقترحت على أخي سيد أبو النور أن نرسل إلى كفر الشيخ طلبًا تلغرافيا بإجازة لمدة ثلاثة أيام ريثما أستعيد عافيتي وفعلًا أرسلنا بذلك برقية، وعند ذهابي إلى كفر الشيخ بعد ثلاثة أيام فوجئت بمذكرة من موظف في شئون العاملين بالقاهرة تزعم أنني أثير الشغب وأرفض تنفيذ أمر النقل، لكن رئيس القسم كان رجلا محترما ولم يأخذ بها بل طلب مني ـ بعد أن اطلع على ملف خدمتي ـ القيام بأعمال إدارة المدرسة لأن الناظرة المسئولة نقلت إلى القاهرة فوافقت.

ثم جاء موظف من شئون العاملين وسألني عن حكايتي، فقلت له إنني زوجة أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين وقلت له عن اسم زوجي؛ فقام الرجل بتمزيق المذكرة المكتوبة ضدي وألقاها في سلة المهملات وقال: لقد كنت صديقًا لمحمد يوسف هواش وهو رجل طيب، وكم أكلنا معًا في بيت السيدة أم محمد.. وقال لي: أنا رهن إشارتك فيما تطلبين.

كنت قد سافرت بدون أولادي فأحسست بالحزن الشديد والجزع عليهم فأرسلت إلى أخي سيد أبو النور وطلبت منه أن يذهب للضابط صالح داود المسئول عن الإخوان

في جهاز المباحث ويطلب منه أن يعيدني لأولادي لأني أدعو عليه يوميًا في الفجر، ثم أرسلت له خطابًا قلت له فيه إن دموعي تتساقط على الخطاب لأنني مظلومة فرُدني لأولادي لأنني سأقف بهذا الخطاب وأسألك أمام الله يوم القيامة، فأرسل لأخي سيد يقول له: قل لفاطمة ألا تدعو علي وربنا يسهل إن شاء الله وتعود لأولادها.

مكثت بعملي في محافظة كفر الشيخ ثلاث سنوات، قضيت السنة الأولى منها بعيدة عن أولادي، الذين ألحقتهم بحضانة الأسقفية على النيل بالمنيل، في السنة التالية أخذتهم معي، وظلوا سنة كاملة معي بكفر الشيخ، بعدها طلبت عمل انتداب للقاهرة أجدده كل ثلاثة شهور، فقد رفضت أن يتربى أبنائي هناك.

وكنت قد كتبت طلب إجازة من العمل وأخذ مساره في كفر الشيخ ولكنهم طلبوا موافقة المحافظ فأخذته وذهبت إلى المحافظ وكان اسمه أحمد حمدي عبيد فأخبروني أنه غير متواجد في مكتبه، وطلبوا مني انتظاره، فجلست أنتظره حتى سمعت أصواتا عالية فوقفت أرقب ما يحدث فإذا بمجموعة من الناس تلتف حول شخص ما إن رآني حتى اتجه إليَّ وسألني هل أنت فاطمة محمد عبد الهادي؟ قلت: نعم، فقال لأحد مرافقيه وكان ضابطًا: يا محمد انظر ماذا تريد وسأصعد إلى مكتبي وسأنتظر الطلب. قلت للضابط إنني تقدمت بطلب انتداب فقال: أين هو؟ فأعطيته له فأخذه ومزقه مما أثار استنكاري.. فإذا به يكلمني بهدوء واحترام قائلًا: إن المحافظ سيوافق لك على طلبك وأقترح أن تكتبي له طلب نقل وليس انتدابا.

وفعلًا كتبنا الطلب وصعد هو به ثم نزل وأخبرني أن المحافظ قد وقّع على الطلب ولكن يريدني أن أصعد إليه، فأصابني الخوف وظننت أنهم سيعتقلونني خاصة بعد أن ترك كل من حوله وجاء لي خصيصًا، ولكن صعدت وخرج المحافظ من مكتبه للترحيب بي وتعجبت من هذه المقابلة التي خشيت أن تكون تمثيلية، ثم أحضر لي فنجانًا من القهوة وأعطاني كارت توصية موجهًا إلى محافظ القاهرة وطلب مني عدم إبرازه لأي شخص آخر.

رجعت إلى القاهرة وقصصت ما جرى على أخي سيد، فاستبشر خيرا وقال لي إنه يعرف أحد الإخوان؛ وهو يعمل مسئولا عن مكتب المحافظ وإنه سيتصل به تليفونيًا

حتى يسهل لي لقاء المحافظ، وبالفعل استأذن هذا الأخ المحافظ في مقابلتي والذي بدوره قابلني بنفس ترحاب محافظ كفر الشيخ فأعطيته الكارت فوعد بتذليل أي عقبة تواجهني.

نقلوني من كفر الشيخ ففضلت أن أكون قريبة من منطقة المنيل حيث سكني وأولادي، لكن مدير شئون العاملين بالمنطقة رفض وقال لي إنه لا يوجد مكان شاغر لي في المنطقة، فأشار عليَّ أخي سيد أن أعود للسيد المحافظ وأذكر له ما حدث، وبالفعل قابلته فإذا به يتصل بالمدير العام ويقول له مهددًا: الكرسي الذي تجلس عليه يمكن أن تتركه في دقيقة واحدة!

فأرسلوا إليَّ يسألونني: أين تريدين أن تعملي؟ فقلت أكون بجوار أولادي وبيتي. فذهبت إلى مدرسة عمرو بن العاص بمصر القديمة ثم منها إلى مدرسة الظافر، وكانت مدرسة جديدة؛ كانوا قد جمعوا لها طلبة من كل المدارس المحيطة بها، وكان أغلبهم من الطلاب الجانحين.

تحريض زوجات المعتقلين على طلب الطلاق

لم تكن هذه كل تفاصيل معاناتي أثناء سجن زوجي، كما لم أكن وحدي من عانيت، بل آلاف النساء من الأخوات المسلمات، ومن زوجات الإخوان المسلمين الذين كان النظام الحاكم بعد ثورة يوليو يريد أن يكُنّ عنصر ضعف يستغله في كسر إرادة الإخوان في السجون.

بعد حملة الاعتقالات والمحاكمات الظالمة التي طالت الإخوان عام ١٩٥٤ حدثت زوبعة في بيوت الإخوان، وبدأت الضغوط على زوجاتهم ممن لم يكُنّ من الأخوات، أو لم يكن أهلهن من الإخوان المسلمين، وذلك لدفعهن إلى الانفصال وطلب الطلاق بحجة طول الأحكام التي صدرت ضدهم والتي وصلت لخمسة عشر عامًا، وحتى خمسة وعشرين عامًا، أتذكر أن الأستاذ كمال السنانيري كان من جيراننا في المنيل، وعقب الحكم عليه بالسجن سعى أهل زوجته لتطليقها منه، فذهبنا إليهم وكانت معي الأخت أمينة الجوهري زوجة الأستاذ محمود الجوهري، وحاولنا إثناءهم عن هذا

ولكنهم أصروا على الطلاق فطلقها الرجل مجبورا، وكان من فضل الله عليه أن أبدله خيرا منها بعد ذلك؛ حيث زوّجه الأستاذ سيد قطب أخته أمينة وهو لم يزل بالسجن واستمرا عاقدين إلى أن منّ الله عليه بالخروج من السجن عام ١٩٧٤ فتم زفافهما وظلا على وفائهما حتى مات الرجل شهيدا من التعذيب عام ١٩٨١.

حين بدأت وقائع طلب النساء الطلاق من أزواجهن أرسل لي زوجي محمد هواش، وكان قد حكم عليه بالسجن مدة خمسة وخمسين عاما في ثلاث قضايا اتهم فيها! وقال لي: لك مطلق الحرية في البقاء معي أو الطلاق! تأثرت كثيرا بذلك رغم نبل مقصده ورغبته في أن يترك لي قراري، وعاتبته على ذلك وقلت له: لم أطلب الطلاق قبل الإنجاب فكيف أطلبه الآن بعد أن أنجبت منك طفلين؟!

شعر زوجي بأنني حزنت من كلامه فاعتذر كثيرا، وفي الزيارة التالية أحضر لي هدية؛ مصحفا شريفا كتب في بطن غلافه إهداء رقيقا قال فيه:

> **«إليك يا زوجتي.. إليك يا شريكة الجهاد.. إليك يا أخت العقيدة.. إليك يا سكن النفس وأم الولد.. إليك يا ريحانة القلب.. إليك هذا الكتاب الكريم الذي جمع الله بيننا على شريعته زوجين وضمنا به أخوين وجنَّدنا به في صف المؤمنين جنديين.. إليك أيتها الحبيبة هذا الكتاب العزيز تقديرا وحبا ووفاء من زوجك؛ عسى الله أن يأتيك به وأن يجمعنا في ظله وتحت رايته.. وسلام عليك ورحمة الله وبركاته والحمد لله رب العالمين. ١٢ من شوال ١٣٨٣ هجري».**

جمع التبرعات لمواجهة تجويع الإخوان

ومما يستحق الذكر أيضا من وقائع هذه الفترة أنه لما بدأ الصدام بين حكومة ثورة يوليو وجماعة الإخوان، وبدأت اعتقالات الإخوان، وجرت محاكمات واسعة لهم في عام ١٩٥٤، واجهت الجماعة أزمة كبيرة تمثلت في مئات الأسر التي صارت من دون عائل، فقد اعتقل الآلاف من الإخوان المسلمين، وهرب المئات منهم خارج مصر وخلّف الجميع أسرا لا عائل لها، فأصبحت إعالة هذه الأسر ورعايتها هي أهم أعمال قسم الأخوات المسلمات الذي قام بدور كبير في هذه المرحلة من عمر الدّعوة.

لقد قسمنا أنفسنا في قسم الأخوات المسلمات وقتها إلى مناطق لجمع التبرعات وإيصالها لبيوت الإخوان المعتقلين أو الهاربين من السلطات، كان لكل منطقة مندوبة لتَلقّي التبرعات من أهل المنطقة من محبي الإخوان أو الميسورين المتعاطفين معهم، كما كانت كل مندوبة تعد كذلك كشفا بأسماء المعتقلين وعناوينهم وعدد أفرادهم، ثم تأتيني كل المندوبات بهذه البيانات حيث نبدأ في تقسيم هذه المعونات وتوزيعها وفق البيانات والاحتياجات، وكنت أنا المسئولة عن تنظيم هؤلاء المندوبات.

ومن أفضل الأخوات اللائي بذلن جهدا في إعالة أسر الإخوان ورعايتهن الأخت أم صلاح من منطقة مصر القديمة، كما كان هناك أخ كريم يعمل طبيبا كان يجمع التبرعات من معارفه وأقاربه وأصدقائه ويأتي لزيارتنا في البيت وكأنه يعالج والدي ثم يترك لنا ما تيسر من الأموال والتبرعات.

أما الأخت آمال العشماوي فلا يمكن أن أوفيها حقها إذا ما تحدثت عن دورها في رعاية أسر الإخوان، فمن خلال علاقاتها الواسعة وصلاتها القوية كانت الأخوات يدخلن بيوت الباشوات والميسورين ويحصلن على الدعم والتبرعات، خاصة وأن الجميع كان يثق في هذه السيدة الفاضلة، وكذلك الأخت علية بنت الأستاذ المرشد حسن الهضيبي؛ فقد كانت متزوجة من الدكتور علي مرعي ابن الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية، وكان لها معارف من عِلية القوم سواء في داخل مصر أم خارجها؛ فكانت تساعدنا في جمع الأموال والتبرعات لمصلحة فقراء الإخوان ومحتاجيهم.

وحين اعتقلتنا السلطات عام ١٩٦٥ كانت تهمتنا تمويل الإخوان؛ وهو ما يقصدون به الإنفاق على أسرهم ورعايتهم، وكان معي في التحقيقات الأختان آمال العشماوي وفاطمة توفيق، وأذكر يومها أن أخي سيد قال ساخرا من تهمة تمويل الإخوان: كانت موّلت نفسها! لقد كانت ظروفي المادية غاية في السوء في هذه الأثناء؛ فقد كنت أتقاضى مرتبا قدره أربعة عشر جنيهًا ونصف الجنيه، فلما نقلت إلى كفر الشيخ عقابا لي أرسلوا ملف مُدرسة أخرى كان راتبها أحد عشر جنيهًا ونصفًا، فظللت أتقاضى هذا المبلغ طيلة ثلاث سنوات تأثرت فيها ماديا؛ إلى أن اكتشفت الإدارة التعليمية هذا الخطأ بعد ذلك فأعطوني الفرق في المرتب وأجريت به وقتها عملية اللوز لابني أحمد وابنتي سمية.

شهادة على مذبحة ليمان طرة

كان زوجي يعالَج في مستشفى طرة حين قام ضباط السجن بالمذبحة المروعة في حق مساجين الإخوان المسلمين، ومن ثَمّ فقد كان شاهدا على هذه الوحشية التي تعامل بها النظام مع الإخوان، ورغم مرضه وخطورة الكتابة عن هذه المذبحة، فضلا عن عدم وجود أوراق يكتب عليها إلا أن محمد هواش أصر على أن يدوّن كل ما رآه أو سمعه من أنباء المذبحة التي تمت على بعد أمتار من سريره.

لم يجد محمد هواش من الورق ما يسجل عليه شهادته فكان يكتب على الورق الذي تُلف فيه الجبنة بعد أن يجففه فترة ليكون بالإمكان الكتابة عليه، فكان يدون على هذا الورق ما يسعه وما تسمح به الظروف ثم يرسلها لنا عبر شخص يعمل في مستشفى السجن.

وحين كانت تصلني الأوراق التي دون عليها محمد هواش شهادته كنت مع الأخت حميدة قطب وأختي خيرية نعيد كتابتها، وتقوم الأخت حميدة بتوصيلها لمن يرسلها إلى مختلف البلاد العربية مثل الأردن والسعودية وغيرهما حتى يعرف الرأي العام العربي والدولي ما يحدث للإخوان في سجون جمال عبد الناصر.

والطريف أنني كنت أحتفظ بتلك الخطابات في زهرية في بيتي، وظلت فترة طويلة منسية، وعندما خرجت من المعتقل وجدتها، فلم أعلن عنها خوفا من أن تفتش عنها السلطات، خاصة وأنهم سألوا عنها أخي سيد أكثر من مرة. وقد احتفظت بها فترة ولكن الأخ أسعد سيد أحمد زوج الأخت سيدة كان قد أسس دار الأنصار للنشر

وطلب الرسائل لإعادة نشرها ولكنني رفضت في الأول ثم أعطيته جزءا منها نشره، ولا أظن أن ما نشره كان كل رسائل الشهيد، فهناك جزء منها وقع في يد المباحث في بعض المرات التي اقتحمت فيها منزلنا، كما أنني أخفيت اثنتين منها مرة ولا أعرف مكانهما إلى اليوم.

ويمكن مطالعة نصوص يوميات محمد يوسف هواش أو شهادته على مذبحة ليمان طرة كما عاينها في نهاية هذا الكتاب.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن كثيرا من هذه الخطابات كانت تحوي مراسلات من الإخوان في المعتقل إلى ذويهم من الأبناء والزوجات، وكانت فيها متابعة أحوال الأسر ومحاولة حل مشاكل أبنائهم الدراسية والاجتماعية، وللحق فإن الأخت سيدة زوجة الأخ أسعد سيد أحمد كانت من الأخوات صاحبات الجهد الكبير معنا في متابعة أحوال أسر الإخوان ورعايتها وحل مشكلاتها، وكذلك الأخت فاطمة عيسى، والأخت عيدة، والأخت فوزية محمد إبراهيم زوجة أخي سيد أبو النور رحمها الله، والأخت هدى محمد إبراهيم والدة الأخ الدكتور أحمد الصفتي.. لقد كُنّ يتحملن المشاق والتعب من أجل متابعة أسر الإخوان ورعايتها حتى كُنّ يسافرن بين المدن والمحافظات المختلفة.

رسائل معتقل لأهله

ومن أكثر ما وثّق صلتنا أنا وزوجي ووثق صلته بأولاده رغم غيابه في السجن ما يزيد عن عشر سنوات الرسائل التي لم تنقطع بيننا رغم أسوار السجن ومعاناته، لقد كانت الرسائل فرصة لنصل ما قطعته السجون وأقامت دونه أسوارا باردة وقاسية، كما كانت وسيلة يشرح لي فيها الشهيد أفكاره وآراءه ويبث فيها مشاعره التي كانت تعبر عن قلب كبير، لقد حرص الشهيد يوسف هواش على سُنة الكتابة كلما ساعدته الظروف رغم صعوبة السجن والتضييق عليه داخله، وكنت أبادله الرسائل أحيانا ولكنه كان أكثر انتظاما مني، وكان قلمه أكثر تدفقا وبلاغة كما يكشف ما تبقى من الرسائل (مرفق نصوص بعضها في نهاية هذا الكتاب)، كما كانت بينه وبين ابنتنا

سمية وابننا أحمد مراسلات تكشف حنانه ومحبته لأبنائه وحرصه على أن ينقل لهم أفكاره مع عواطفه.

وقد سعيت للاحتفاظ بهذه الرسائل ما أمكن وفي أماكن مختلفة من بيتي؛ أحيانا في مزهرية الورود، أو بين الكتب، أو في بعض الأدراج البعيدة عن العيون المتلصصة والأيدي التي كثيرا ما كانت تعبث ببيتنا، ومما حفظته من الضياع رسالة أرسلها زوجي الشهيد لابنته الطفلة سمية في يوم ميلادها هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

سمية ابنتي وفلذة كبدي، وروح الفؤاد..
سلام الله عليك يا بنيتي حيث أنت الآن، وحلمنا ـ إذا قدر الله لك ـ أن تكبري ونقرئي هذه النصيحة الخالصة لوجه الله، المهداة لأحب خلقه إلي وأكثرهم معزة عندي.
أمك المؤمنة الصادقة الحبيبة، جاءتني بليمان طرة بهذا المصحف الشريف، ورغبتْ في أن أقدمه إليك في عيد ميلادك، كما يقولون! وأصارحكم يا بنيتي بأني لا أعترف بهذا العيد ولا أقره لأني لا أجد ذكرا له في هذا المصحف ولا في سنة من أنزل عليه وعلينا.
وكل ما ليس في هذا المصحف ولا في سنة الذي أنزل عليه (صلى الله عليه وسلم)، فهو جاهلية..
هذا عيد الميلاد، وذاك عيد الأم، وعيد الثورة، ثم عيد الدستور، وشم النسيم، كل ذلك وكل أمر الناس اليوم جاهلية، وما كان لأبيك يا سمية الذي سلم وجهه ودينه وكل أمره لله أن يتورط في جاهلية قومه إلا أن يشاء ربه شيئا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ هذا من ناحية.
ومن ناحية أخرى فإني أرجو يا سمية أن تشعري أنه ليس هناك أمر من أمور هذه الدنيا يستحق أن يُحتفل به لذاته، ومن هذه الأمور وعلى رأسها ميلاد الإنسان نفسه، فالشأن فيه موقوف على ما بعده والعبرة بما تكون عليه حياة المولود من قُربه من الله تعالى أو بُعده عنه سبحانه، ولقد تجلت هذه الحقيقة، وشع نورها من القلب الرباني الخالص، قلب الخليفة الراشد الهادي المهدي، ترجمان العارفين ولسان الصادقين سيدنا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه وأرضاه، يوم وقف ممسكا بلحيته الشريفة وهو يرتعد من الله فرقا ويمتقع وجهه الكريم خوفا، فيقول: ليت عمر لم تلده أمه.

أدرك عمر الحبيب أن ميلاده بداية تنتهي به إلى يوم الحساب يوم يُسأل فيه الصادقون عن حقيقة صدقهم. ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ والصادقون في أعلى مراتب البشر، كيف بغيرهم؟ هذا هو عمر بإيمانه ومعرفته، ولكن الناس اليوم يختلفون بالحياة أي حياة، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

على أني مع هذا لا أجد مانعا من أن أقدم إليك هذا المصحف في مناسبة خليقة بالاحتفال والتعظيم؛ ذلك هو شهر رمضان المعظم الذي أنزل فيه هذا الكتاب، وهنا ممتلئ النفس ومفعم القلب، ومستجمع العبارة، ولا أجد ما أقوله إلا وصية أبي وأبيك إبراهيم، وقد حكاها الله تعالى في قوله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، والإسلام يا سميتي الحبيبة؛ إسلام النفس والوجه والأمر كله؛ أمر الدنيا والآخرة لله رب العالمين، وهذا الحق مجبول ومفطور عليه الإنسان من أول الخلق، بل في فطرة الوجود كله، سمائه وأرضه وما بينهما، كل شيء شاء الله بعد، وفي هذا الكتاب الكريم يا بنيتي تفصيل هذا الحق، وتفصيل كل شيء.

فدونك يا سمية ووصية أبينا إبراهيم الأواه الحكيم وسنة نبينا المصطفى الحبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، واذكري أباك وأمك يا سمية بالدعاء الصالح. والسلام عليك يا ابنتي ورحمته وبركاته.

ليمان طرة في السادس والعشرين من رمضان سنة ١٣٧٦ هجري

أبوك

كما كانت سمية ترد على رسائل أبيها رغم صغر سنها، وكانت هذه الردود مما يُدخل الفرحة عليه في سجنه، وقد احتفظت ببعضها بعدما أخذتها منه خشية أن تضيع أو تصادر في سجنه، ومما احتفظت به رسالة إليه من سمية هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

أبي العزيز

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبي إني كنت أكتب لك هذا الخطاب بعد أن صليت العشاء، أبي إن الله أعطاني

نعمة عزيزة عليَّ جدا أحسن من أي شيء في الدنيا دي كلها هي الصلاة وطاعة أمي. إني أحب أن أقول لك إني عندما أقابل الله خمس مرات أدعو وأنا ساجدة أن يا أبي يُفرج عليك الله وتيجي معانا البيت ونعيش في سرور، وأحب أن أقول لك إن أمي عملت طرحة جميلة للصلاة وطويلة والجميع يسلمون عليك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٥ من جمادى الأولى ١٣٨٣

٢٣ من سبتمبر ١٩٦٣

ابنتك

سمية محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

والدي العزيز محمد يوسف هواش

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد وصلتنا خطابات كثيرة وجميلة وكانت منك ومن أبلة حميدة التركي ومن عمي سيد.

عمي سيد لما أخبرنا بنجاحه، كان عمي زوروا امتحانه بمدة.

لقد وصل يا والدي خطاب سيف له وأعجب به وشكره، أنا بصحة جيدة ومبسوط.

ونكون سعداء لما تكون معانا وأنت وحشتني.

يا ترى الهدية إيه أنا في شوق كبير لرؤياها، وأنا محضر مفاجأة سارة لك.

يا ترى من معك من الإخوان المحبين الذين يعرفوني، بلغهم سلامي يا بابا لما أنتهي من خطابك سأكمل درسا في كتاب القرآن الكريم والموضوع لا إله إلا الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ابنك أحمد جهاد محمد يوسف هواش

٢١ / ٧ / ٦٤

عفو طبي.. ولكن إلى أجل

في عام ١٩٦٤ خرج زوجي محمد يوسف هواش من السجن بعفو طبي، كان هو والأستاذ سيد قطب معا في عنبر واحد بمصحة سجن طرة، وكان مفترضا أن يخرجا

معا لكنهم فرقوا بينهما في الإفراج فأفرجوا عن سيد قطب قبله بشهر ليصنعوا فرقة بينهما بعدما رأوا قوة أخوتهما وتقاربهما فكريا ونفسيا، ورغم فرحتي بالإفراج إلا أنني كنت قلقة وقلت للأستاذ سيد قطب ثم لزوجي لما خرج إن الإفراج عنهما يبدو غريبا وإنهم ربما يدبرون لهما مصيبة جديدة، ونصحت وقتها بألا ينشطا في أي عمل لحين ما تتضح الصورة.. لكن مضت الأقدار كما هي مقدّرة.

ورغم قلقي فقد كانت فرصة جميلة لأن يجتمع شمل العائلة لأول مرة، كان زوجي قد ترك ابنتنا سمية بعد ولادتها مباشرة، ولم ير ابننا أحمد الذي ولد وأبوه سجينا، وكان زوجي قد أثرت فيه سنوات السجن فبدا متعبا، ولكن كانت لديه رغبة عارمة في أن يعوضنا عما عانيناه أثناء سجنه، كان يتدفق محبة ويفيض علينا حنانا، كان دائم الاعتذار لي عما قاسيته بسببه، وعن طريقته القاسية في التعامل معي في أول زواجنا.

وفي عام ١٩٦٥ ذهبنا إلى بلده لزيارة أهله والاطمئنان عليهم، ولكي يعرف أبناؤنا بلد أبيهم، ولم يمض يوم واحد حتى كانت قوات الأمن تقتحم علينا بيت أهله في صبيحة اليوم الثاني لزيارتنا، وأخذوه مرة أخرى إلى المعتقل، ولم يمض على خروجه إلا شهور معدودة بعد عشر سنوات قضاها ظلما في السجون، وعند خروجه مع البوليس سألني عن مصحف يحمله معه ولم يكن لدي إلا مصحف كنت قد أهديته لابننا أحمد عام ١٩٥٥ حين كان عمره سبعة أشهر، وكنت قد كتب فيه إهداء لابننا أحمد قلت فيه:

«إلى ابني الحبيب أحمد.. أتقدم إليك بمن لا يخلق؛ بمصحف، في وقت أنت فيه في سن سبعة أشهر لا تفقه من هذه الدنيا الدنية شيئًا... وعند كبرك يا ولدي يا أحمد خذ هذا الدستور موعظة واسلك منه سبيلا فهو الذي ينير لك الطريق الشائك ويهديك سبيل الرشاد.. ولكن لاحظ أنك إذا تمسكت بهذا الكتاب فكن محتملًا لما ستلاقيه من أهل الباطل الذين يكونون دائمًا للحق بالمرصاد.. وإن والدك موجود الآن في سجن طرة في مصحتها كل ذلك في سبيل دعوة الحق... وقد حكم عليه بخمسة وخمسين عامًا أشغالًا شاقة في ثلاث قضايا... خلاصة الكلام لا تنس أن تتمسك بالحق أينما كنت ولا بد لذلك من احتمال الأذى في سبيل نصرة الحق.. جعلك الله ذخرًا للإسلام والمسلمين يا ابني الحبيب.. والدتك فاطمة عبد الهادي».

العجيب أنه لما طلب هذا المصحف وشعر بخوفي من ضياعه لما يحمله من قيمة ولما فيه من إهداء لابننا أحمد مر عليه عشر سنوات قال لي لا تخافي.. إن شاء الله سيعود لك مرة أخرى مهما كانت الظروف!

كان ذلك يوم ٢٠ من فبراير ١٩٦٥ حيث ذهب مع المباحث الذين اقتادوه مباشرة للسجن، ومضى الزمان سريعا فحوكم زوجي وأعدم ومرت السنون، وتزوجت ابنتي سمية من الأخ أحمد عبد المجيد الذي كان رفيقا لوالدها في السجن، وكان حُكم عليه بالإعدام ولكن أوقف تنفيذ الحكم، وقدر الله لهما أن يسافرا للعمل في السعودية، وأن ألحق بهما لأداء العمرة وأبقى معهما في مكة المكرمة، ثم أفاجأ ذات يوم بالمصحف على منضدة بالبيت.. نظرت إليه فوجدته المصحف نفسه الذي أخذه زوجي معه إلى السجن وعليه الإهداء والتوقيع، فتعجبت وسألت الأخ أحمد عبد المجيد زوج ابنتي: من أين لك بهذا المصحف؟! فأخبرني بقصة عجيبة لهذا المصحف.. حيث كان في مدينة الرياض يصلي في المسجد الكبير بها فجاء إليه أخ وأعطاه المصحف وقال له إن الشهيد محمد يوسف هواش حين أخذ لينفذ فيه حكم الإعدام أودع هذا المصحف أمانة لدى أحد الإخوة الذين كانوا معه في السجن وطلب منه أن يوصله لنا إذا قَدَّر له الله ذلك، فلما خرج هذا الأخ من السجن ترك البلد وهاجر إلى سويسرا وأعطاه أمانة لأخ يعيش في ألمانيا ونقله الأخير لثالث كان في رحلة لأوربا وكان في طريق عودته إلى السعودية، ولما علم هذا الأخ بوجود الأخ أحمد عبد المجيد وصلة نسبه بنا ذهب إليه في المسجد ورد إليه الأمانة التي وصلت إلينا بعد عشرين سنة تقريبا!

الأخوات المسلمات في السجن.. خمسون أختا وراء القضبان

اعتقلوا زوجي من قريته، وفرقوا بيننا ثانية ولم يمض على اجتماع شَمْل بيتنا إلا عدة أشهر بعد عشر سنوات قضاها في المعتقل، غادرنا قرية أهل زوجي ورجعنا إلى بيتنا فوجدت أزمة أخرى بانتظارنا حيث سحب ضباط الجوازات جواز سفر أختي خيرية وأبنائها وزوجها الأخ عبد اللطيف مكي وقادوه إلى السجن. لم يكن باستطاعتي أن أذهب معها لضباط الجوازات فطلبت من والدتي أن تبقى معها بدلا مني.

ولأختي خيرية قصة طويلة هي وزوجها وأسرتها مع ظلم النظام وبطشه وتعنته، فقد سافر زوجها في الخمسينيات للعمل مع الأخ سعيد رمضان في إصدار مجلة «المسلمون»؛ وكانت تصدر في سوريا مع بدء مطاردة جمال عبد الناصر للإخوان، ونتيجة لذلك صدر حكم غيابي عليه وهو في سوريا بالسجن خمس سنوات وأسقطوا عنه الجنسية في اليوم نفسه الذي أسقطوا فيه الجنسية عن الملك فاروق.

ثم استطعنا عبر وساطة من زكريا محيي الدين أن تسافر خيرية وأولادها إلى زوجها الذي كان قد انتقل للعمل في قطر مع الشيخ يوسف القرضاوي واستقرت أموره هناك، ولكنهم اشترطوا عليها أن يكون السفر بلا عودة!

وفي عام ١٩٦١ توفي والدي رحمه الله ورفضت السلطات دخول أختي خيرية وزوجها الشيخ عبد اللطيف مكي للبلاد، وكانت في شوق للقاء الوالدة فسافرت لهم والتقت بهم في لبنان.

وفي زيارة لأنور السادات إلى قطر التقاه الشيخ عبد اللطيف مكي وقدم له التماسا

لإعادة الجنسية فوافق السادات وأعيدت له الجنسية، وسمح لهم بالنزول إلى مصر عام ١٩٦٥ فاعتقلوا زوجها وسحبوا من الأسرة كلها جوازات السفر، وقد بقي الشيخ عبد اللطيف مكي في السجن لمدة سنة حيث نفذت الأحكام في حق الشهداء نهاية عام ١٩٦٦.

وذات يوم وبعد الثانية من منتصف هذه الليلة طرق عليَّ الباب مجموعة من المخبرين كان معهم أحد الضباط، ولم يكن هناك سوى أولادي الصغار وكنا وحدنا في البيت... قالوا لي: نريدك في كلمتين فقط، فقلت لهم بسخرية: زوجي من أجل كلمتين قضى عشر سنوات! وقلت لهم إذا ذهبت معكم فأين أترك أبنائي؟! فقال لي الضابط: خذيهم معك فرفضت، وطلبت أن أذهب بهم إلى أمي في المنيل، أعددت نفسي لأمر لا أعرفه وأثناء استعدادي للخروج دخلت إلى المطبخ لأطفئ الموقد الذي كان مشتعلا لإنضاج طعام كنت أعده فإذا بالضابط يصاب بالفزع ويظن أني سآتي بسكين!!

ذهبت بالأولاد إلى أختي وكانت أمي تقيم معها، وقلت لأمي اذهبي بالأولاد أنت وأختي إلى شقتي واتركوا هذه الشقة المفروشة لأننا لن نخرج في الوقت الحالي.. وكنت أصرخ عاليًا: أنت على الظالم يا رب.. حتى فتح الناس النوافذ فأخذت أصرخ: انصر الحق واهزم الباطل يا رب.. وانتابتني رعشة شديدة أخذت بكل أوصال جسمي وكان أخي سيد أبو النور قد وصل لتوه وهم يأخذونني معهم فقال لي: ما هذا يا فاطمة؟ أين الصبر وأين الإيمان وأين العزيمة... ماذا تفعلين؟! فلما رأوه يتكلم هكذا اعتقلوه هو أيضًا معي!

ذهبوا بنا إلى سجن مصر القديمة ووضعوني في حجرة لا تزيد عن حجم سرير صغير تزدحم بها ثماني سيدات من الأخوات المسلمات أتذكر منهن الأستاذة نعيمة زوجة المرشد وابنته خالدة الهضيبي، والأخت أم صلاح من مصر القديمة.. كان من المفترض أن ينقلونا إلى سجن النساء في القناطر، ولكن قبل أن تأتي العربات ازدادت الرعشة التي أخذت بأوصالي وأصبت بنزيف فأخذتني الأستاذة نعيمة (أو أبلة نعيمة كما كنّا نناديها) بين رجليها إذ لم يكن هناك مكان يتسع لي، وقالت سأقرأ عليك آية من آخر سورة آل عمران حتى يهدأ جسدك وأخذت تقرأ قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ

لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

وفي المساء أتوا بسيارة ترحيلات كبيرة نقلتنا إلى سجن النساء في القناطر، وكانت رحلة غاية في الصعوبة والمشقة، ومن أكثر ما أثار الأسى فيها امرأة عجوز كانت معنا ولم تكن تستطيع الوقوف فضلا عن صعود السيارة فحملوها حملا، ولما رآها الضابط الوقح قال لها: أمّال (إذن) كيف كنت تحملين المفرقعات؟!

اعتقال الأمهات والزوجات والبنات

حين وصلنا إلى سجن النساء وجدنا أن المباحث قامت باعتقال عشرات الأخوات من معظم أنحاء البلاد تقريبا، بل واعتقلت أمهات أو شقيقات بعض الإخوان، ولم يكن لهن أي صلة بالجماعة، هذا غير بعض الأخوات اللاتي تم اتهامهن رسميا في القضية التي عرفت بتنظيم ١٩٦٥ مثل الأخت زينب الغزالي، والأختين أمينة وحميدة شقيقتَي الأستاذ سيد قطب؛ أبرز المتهمين بتهمة محاولة قلب نظام الحكم!

كان معنا في سجن القناطر كل نساء عائلة المرشد الأستاذ حسن الهضيبي تقريبا: كانت معنا زوجته أبلة نعيمة خطاب، وكان عمرها نحو سبعين عاما، وقد مكثتْ في سجن القناطر حوالي ستة أشهر ثم رحلتْ إلى السجن الحربي، وتم التحقيق معها ولم يرحموا سنها ولا صحتها، وعاشت معنا في معتقل سجن النساء بالقناطر فترات عصيبة.

كما اعتُقلت معنا أخت فضيلته السيدة بهية إسماعيل الهضيبي، وكانت قد جاوزت السبعين عاما هي الأخرى، وكنّا وكل الإخوان نناديها باسم «عمتي بهية» احتراما لها، ولم يكن لها نشاط يذكر مع الأخوات المسلمات، ولكنهم اعتقلوها نكاية في شقيقها، لقد قبضوا عليها وهي تساعد زوجها في زراعة الأرض بقريتها عرب جهينة بمحافظة القليوبية.

كما اعتقلوا ابنته الأخت خالدة الهضيبي وكان عمرها أربعين وهي زوجة الأخ المهندس أحمد ثابت ووالدة صفوان ثابت رجل الأعمال المعروف الآن، كما اعتقلوا ابنته الثانية علية الهضيبي التي كانت ما زالت عروسا وكان اعتقالها بسبب صداقتها بالأخت غادة عمار زوجة الطيار يحيى حسين، وقد أدخلتا ضمن القضية وسجنتا معا في السجن الحربي.

لقد اعتقلوا نساء بيت الأستاذ الهضيبي بتهمة أنهن كنّ ينشطن في رعاية عائلات الإخوان المعتقلين من سنة ١٩٥٤ وكفالتهم ماديا، وكانت أبلة نعيمة زوجة المرشد قد أشرفت على إنشاء مشغل تعمل فيه الأخوات للإنفاق على تلبية حاجة العائلات الإخوانية.

وفي المعتقل كانت معنا كل الأخوات المسئولات عن العمل النسائي في الجماعة تقريبا، لقد اعتقلوا معنا الأخت آمال العشماوي بنت العشماوي باشا وزوجة الأخ منير دلة، وكان لها نشاط بارز في إعالة الأسر الفقيرة والمحتاجة من الإخوان، والأخت أمينة زوجة الأخ محمود الجوهري مسئول الأخوات المسلمات، وقد أخذوها من معتقل سجن النساء في القناطر إلى السجن الحربي للتحقيق معها ثم أعيدت لنا.

كان من بين المعتقلات الأخت أم معاذ زوجة الأخ عباس السيسي من الإسكندرية، وزوجة الأستاذ سيد نزيلي من كرداسة بالجيزة؛ ولم يكن مضى على عرسها إلا يوم واحد، وسمي زوجها بعريس كرداسة، والأخت حرم الدكتور مرسي مصطفى من إمبابة بالجيزة، والأخت أم أحمد؛ فاطمة عبيد من القاهرة، وزوجة الأخ يوسف القرش من المنصورة، وزوجة الشهيد محمد عواد من الشرقية، وزوجة الأستاذ أحمد عادل كمال من القاهرة، وبنات الشيخ محمد عبد المقصود العزبي من المنصورة.

وكانت من مهازل النظام المجرم اعتقاله لسيدات فوق الستين وفوق السبعين من العمر مثل والدة الأخ أحمد عيد من مصر الجديدة، وقد كان عمرها فوق السبعين، ولم يكن لها أي ذنب إلا أن ابنها كان قد قضى عشر سنوات في السجن ثم أعيد اعتقاله مرة أخرى!

وكذلك السيدة عالية السيد حسن والدة الأخ جودت شعبان الذي كان قد قضى عشر سنوات في السجن، وكانت قد جاوزت الخامسة والستين وليس لها علاقة بالإخوان، وقد اعتقلوها لأنها اعترضت على اعتقال زوجة ابنها الأخت زينب السيد حسنين سلام التي كان لديها أربعة أطفال أصغرهم طفل رضيع لم يتجاوز الأربعين يوما وما زالت في فترة النفاس، فما كان من الضابط إلا أن اعتقلها مع زوجة ابنها ورضيعها وأخذهم من بيتهم في منتصف الليل.

ومن السيدات كبيرات السن اللائي اعتقلن معنا السيدة والدة الأخ محمد عبد الرءوف كامل من بني سويف، والسيدة والدة الأخ إسماعيل عبد العليم؛ وقد قبض عليها أثناء زيارتها لابنها حاملة أمتعة له ولباقي المعتقلين الذين لا عائل لهم، ووالدة الأخ اللواء كمال عبد الرازق، وأخت كان اسمها أم وجدي ربما كانت من أخوات الإسكندرية.

اعتقلوا معنا أيضا الأخت سنية الوشاحي من طنطا، ووالدة الأخ الطبيب عبد الفتاح شوقي وكان لها ابن اسمه سعد شوقي مات شهيدا في مذبحة ليمان طرة عام ١٩٥٧، والأخت أم عناني والدة الأخ عناني من إخوان بين السرايات في الجيزة، والأخت رئيفة شاكر شقيقة الأخ صلاح شادي، والأخت فاطمة توفيق.

وكثير من الأخوات اللاتي اعتقلن معنا كُنّ شابات مثل: زوجة الأخ الطوخي وزوجة الأخ سعد عمار من منطقة طرة والمعادي، والأخت تحية زوجة الأخ طه أبو ليل من منطقة حلوان، وزوجة الأخ علي معروف من منطقة العباسية؛ وقد تركت ستة من الأبناء وحدهم دون أهل ولا عائل مدة ستة أشهر. وزوجة الأخ علي محمد بحيري؛ وقد اعتقلوها ومعها وليدها الذي لم يتجاوز أربعين يوما. وزوجة الأخ سعد عفيفي من منطقة طرة، ووالدة الأخوين ماجد وطاهر سالم؛ وكانت ناظرة مدرسة في مركز السنطة بمحافظة الغربية وكان ابنها ماجد ١٩ سنة أصغر معتقل.

وكانت معنا الأخت قدرية شرف زوجة الأخ رشاد عبد العزيز الذي كان مسئولا عن قسم الأخوات في الإسكندرية، والأخت مفيدة البكري مسئولة الأخوات في حي بين السرايات، وأخت اسمها صفية شقيقة أحد الإخوة المعتقلين وكان اسمه عبد المنعم،

والأخت أسماء محمود زوجة الأخ محمود نفيس، والأخت إنعام شاكر زوجة الأخ علي البدري والتي اعتُقلت وهي حامل ووضعت ـ بعد شهرين من الاعتقال ـ ولدها «أحمد» وهي في السجن.

وقد بلغت بهم القسوة أنهم في مستشفى السجن لم يهتموا بها ولم يصرفوا لها أي دواء إلا أربعة أقراص أسبرين، فما كان منها إلا أن ألقت بها في وجوههم قائلة: «يلعن أبو دواكم»! فقاموا بحملة تأديب لها ولجميع المعتقلات، ثم أعيدت إلى العنبر وليس معها ملابس لوليدها ولا طعام، ولم تتلق أية رعاية طيلة أربعة أشهر قضتها في السجن بعد الولادة، خاصة الفترة التي قضتها بعد الولادة.

لم يتوقف الاعتقال على زوجات الإخوان وأمهاتهم وشقيقاتهم، بل ذهبت الوحشية مداها باعتقال الفتيات الصغيرات؛ فاعتقلوا معنا الأخت نجاة عوض شقيقة الأخ محمد فريد عوض، الذي أمضى ١٥ عاما ولم يداهن الحكومة وسنتين بعدها ثم أفرج عنه سنة ١٩٧١، والأخت زينب الكاشف وهي من أخوات الإسكندرية والتي كان لها دور بارز في جمع التبرعات لأسر الإخوان المحتاجين، وقد قضت معنا عدة شهور ثم خرجت من المعتقل أوائل عام ١٩٦٦، وهي التي تزوجت فيما بعد بالأخ سعد سرور الشاعر والزجّال المعروف بين الإخوان، وكانت معنا من بين المعتقلات فتاة صغيرة اسمها الأخت سميرة؛ وكانت قد حاولت أن تلحق بأخيها الذي اعتقلوه لتعطيه الطعام فتبعته إلى القطار فقبضوا عليها واعتقلوها معه في القطار نفسه، وقد قضت معنا في معتقل سجن النساء بالقناطر ستة أشهر كاملة!

وكان من أقسى ما تعرضنا له ما رأيناه من وفاة الأخت امتثال؛ إحدى الأخوات من أسيوط، والتي قبضوا عليها وهي حامل بتوأمين في شهرها التاسع، وأخذوا ينقلونها من قسم إلى آخر ثم أخذوها في سيارة الترحيلات إلى سجن النساء بالقناطر، فجاءها مخاض الولادة واشتد عليها النزيف في دورة مياه عنبر السجن وسقطت مغشيا عليها، فنزل التوأمان ولم تنزل المشيمة، وتأخرت سيارة الإسعاف، ففارقت الحياة قبل أن تصل للمستشفى، كما مات توأماها.

وداخل السجن وضعت زوجة الأخ الطوخي وسألتني ماذا أسمي ابني فقلت لها:

«أحمد جهاد» وما إن سمع الضابط بالاسم حتى سبها سبا مقذعا وهددها بألا يحضر لها مياها ساخنة وأن يعيدها إلى السجن مرة أخرى بدلا من المستشفى.

أما ما يدمي القلب فكانت تلك الأخت التي كان لديها أربعة أطفال أصغرهم طفل رضيع، كانت قد جاءت بخدعة من ضباط البوليس بعد أن أوهمها أحدهم بأن زوجها الذي اعتقلوه في انتظارها بسيارة البوليس، فنزلت معهم وأغلقت الباب على أطفالها انتظارا لأن تعود إليهم، لكنها فوجئت بأنهم أخذوها قسرا ودون أن يسمحوا لها برؤية أطفالها أو إحضار من يجلس معهم، بل ورفضوا أن تصطحب معها رضيعها!

لقد كانت في حال يرثى لها من كثرة الصراخ والهلع على أطفالها خاصة الرضيع، وكنّا نحاول أن نواسيها وندخل عليها الهدوء والسكينة، وأذكر أن الأخت زوجة الطوخي كان قد جف منها لبن الرضاعة بسبب ما لاقته في مستشفى السجن أثناء الولادة، فطلبت الأستاذة نعيمة من الأخت التي فارقت رضيعها بأن تتولى إرضاع الرضيع أحمد الطوخي (عادل)! وكان هذا من صور التكافل والتعاون بين الأخوات في محنتهن.

الأخوات المسلمات في السجون

كنّا نعيش في السجن في ظروف أقل ما يقال عنها إنها غير إنسانية ولا يطيقها البشر، كنّا نلقى معاملة سيئة ونتلقى الشتائم والسباب النابي باستمرار.

كان الطعام عبارة عن جردلين من الفول السيئ يعلوهما قشر البصل ومعهما الخبز الناشف، كانوا يعطوننا «قروانة» لنأكل فيها دون ملاعق، فكانت الأخت آمال العشماوي تقول لنا: اصنعن «فتة» من مياه الفول وقشّرن فوقها حبات الفول ثم كُلن منها، وأتذكر أنه كانت معنا أم لأحد الإخوان من الإسكندرية وكانت كبيرة في السن، وقد اعتقلوها دون أن تأخذ طقم أسنانها فكانت لا تستطيع مضغ الطعام الناشف.

ومما أذكره من أيام المعتقل أنه كانت بيننا أخوات متعلمات وأخوات لا يُجِدن قراءة الفاتحة، فقررنا أن نستغل فترة الاعتقال على كل ما فيها من معاناة لتعليم هؤلاء الأخوات، ولما كانت إدارة السجن قد صادرت منا المصاحف وأي كتاب تقع عليه العين

فقد قامت الأخت فاطمة توفيق بتعليم هؤلاء الأخوات القراءة والكتابة على الحائط، أما نحن المتعلمات فكنا نقوم بتلاوة سورة يس كل يوم بعد صلاة العصر حتى نصل عند قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن ﴾، فنقف وندعو: اللهم فرج عن الإخوان، اللهم فرج عن الأخوات.. يا رب انصر الإسلام وأهله وأهلك أعداء الإسلام، ثم نكمل الآية: ﴿فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

وكانت الأخت فاطمة توفيق هي من تؤمنا في الصلاة؛ فقد كانت خريجة كلية اللغة العربية وتجيد قراءة القرآن الكريم، وكان القرآن هو زادنا وسلوانا في هذا السجن، وذات مرة دخل علينا الضباط ونحن نقرأ وندعو وكان عددنا نحو خمسين من الأخوات، فكالوا لنا السباب وقالوا: هل تدعين الله علينا؟ فقالت لهم الأستاذة نعيمة خطاب زوجة مرشدنا الأستاذ الهضيبي: نحن ندعو على الظالمين.

بعدها بفترة بسيطة سمحوا لنا بدخول المصاحف، فأحضروا لنا ثلاثة مصاحف غير المصاحف التي كانت معنا، كما سمحوا لنا بإرسال خطابات إلى أهلنا ليرسلوا لنا بالنقود، ولكنهم لم يكونوا يعطوننا النقود بل يعطوننا كوبونات نشتري بها من كانتين السجن.

وكانت السجّانة المسئولة عنا اسمها إصلاح، وبعد أن تعرفت علينا وبدأت تُحسن معاملتنا لِما رأته من سلوك الأخوات وأخلاقهن كانت تتعجب وتقول إنهم أعطوها دروسا لمدة شهرين لتستطيع التعامل معنا إذ أخبروها أننا همج ومتوحشات نقوم بحمل المتفجرات والأسلحة والقنابل، وإن عليها أن تَحذر منا، ولكن بعد أن عرفت الحقيقة تبدل الحال حتى إن الأستاذة نعيمة أرسلتها ذات مرة لتطمئن لها على الأخت علية الهضيبي لأنها كانت حاملًا أثناء وجودها في السجن الحربي.

كنّا في سجن النساء بالقناطر معزولات تماما عن بقية السجن، فكنّا جميعا من المسجونات السياسيات ولم يكن معنا سجينات جنائيات، وكانوا حريصين تماما على عدم اتصالنا بأحد في السجن غير السجانات، حتى إنهم قاموا بسد الفتحات التي يدخل منها الضوء؛ لدرجة أنني عندما خرجت إلى مستشفى قصر العيني للعلاج من

النزيف وضعوني في سيارة تتبعها الدراجات البخارية وكأنني شخصية مهمة، ولأنني كنت قد عزلت عن الحياة فترة طويلة لا أرى فيها النور فقد أصابتني الدوخة وكدت أقع بسبب عدم سيطرتي على نفسي، ولما رأيت غرابًا يطير في السماء فرحت كثيرا إذ لم أكن أرى منظر السماء مطلقا في السجن.

إلى قصر العيني بصعوبة وقبل الموت نزفا!

كنت قد أصبت بنزيف دموي بمجرد دخولي المعتقل، وكانت تعالجني طبيبة نصرانية متعصبة اسمها «إيفا»، وذات يوم جاءت لتقوم بالكشف الطبي فرأتني أصلي؛ فما كان منها إلا أن أبدت استهجانها وقررت ألا تعالجني وتركتني وذهبت دون علاج! وقد أدى ذلك إلى تجلط دم النزيف، ولما رأت الأخت آمال العشماوي ذلك صرخت وقالت: لا بد من فعل شيء، فتجمعت هي والأخت خالدة الهضيبي ومعها عدد من الأخوات يطرقن على الباب بشدة حتى جاء الضابط فأخبرته الأخت آمال العشماوي بامتناع الطبيبة «إيفا» عن علاجي وذلك لأنها رأتني أصلي، وحذرته من أنني سأموت من كثرة النزيف.. فسألها الضابط هل هي زوجة هواش؟ قالت له: نعم، فجاء لي بطبيب آخر، وقد كان هذا الضابط على معرفة بعم زوجي الذي كان مفتشا بمصلحة السجون، ولكن الطبيب كان سيئ الخلق لم يدخل لعلاجي واتهمني دون أن يراني بشيء وقح؛ فما كان مني إلا أن رفضت علاجه وطلبت نقلي لقصر العيني وقوبل هذا الطلب بالرفض.

كنت أستغرب رفضهم خروج امرأة ضعيفة ومريضة توشك على الموت للعلاج، ولكنني بعد خروجي علمت من زوجي محمد يوسف هواش أن سبب هذا الرفض هو أنهم أرادوا إقحام اسمي في القضية وكانوا يعذبونه ليقول أي معلومة عني يمكن أن تكون مبررا لإدخالي في القضية ونقلي للسجن الحربي!

استمر رفض نقلي للعلاج بمستشفى قصر العيني فترة ساءت فيها حالتي وتدهورت مع استمرار النزيف، ثم مع الخوف من أن يؤدي الأمر إلى وفاتي سمحوا بنقلي إلى المستشفى للعلاج ولكنهم اشترطوا ألا أرى أولادي! وهناك تلقيت العلاج وأجريت

لي جراحة عاجلة لاستئصال الرحم، ومكثت على سريري ممنوعة من الحركة رغم حاجتي الطبية لذلك إلى أن تدخل الطبيب وطلب من العسكري المكلف بحراستي السماح لي بأن أمشي قليلًا في الحجرة ليزيد ذلك من سرعة شفائي، ولكن بمجرد محاولتي السير أغشي عليَّ، ويبدو أن الجندي نفسه الذي حاول إغاثتي سقط مغشيا عليه هو الآخر إذ ما إن بدأت في الإفاقة حتى رأيته ممدّدًا وهم يحاولون إسعافه.

ومما أذكره أثناء سيري والقيود الحديدية في يدي وحولي جنود الحراس في ردهات مستشفى قصر العيني أن سيدة كانت تشتغل عاملة عندي في المدرسة ما إن رأتني في حالتي هذه حتى أقبلت عليَّ صائحة: يا حبيبتي يا فاطمة.. يا بنتي يا ست فاطمة.. اسم الله عليك.. وأخذت تبكي فما كان من جندي الحراسة إلا أن نهرها وأمرها أن تذهب بعيدًا.

وأثناء علاجي في مستشفى قصر العيني صدر قرار الإفراج عني في شهر فبراير؛ ولكنني لم أستطع الخروج من المستشفى لأن العملية الجراحية كانت ملوثة، وكان من الخطر خروجي فبقيت حتى آخر مارس، وكان من قدر الله أن أخرج في هذا التوقيت لأتمكن من حضور الجلسة الأخيرة في محاكمات الإخوان التي كانت قد بدأت وأوشكت أن تنتهي ونحن في المعتقل.

مأساة عائلة كل رجالها معتقلون!

لم تكن حالة عائلتي أقل سوءا من حالتنا وأنا في السجن، فلقد اعتقلوني وزوجي فتركت ورائي طفلين صغيرين (سمية وأحمد جهاد) برعاية أمي وأخواتي، لكن الأمور أخذت تسير إلى الأسوأ.. فقد اعتقلوا كل رجال العائلة ولم يعد خارج السجن رجل واحد يمكن أن تعتمد عليه أسرنا، فبعد اعتقال زوجي محمد يوسف هواش اعتقلوني وأخي سيد أبو النور، وكذلك الأخ عبد اللطيف مكي زوج أختي خيرية، والأخ محمود الشيخ زوج أختي ثريا، والأخ مفيد إبراهيم وكان حُكم عليه بالسجن خمس سنوات، ثم اعتقلوا الأخ فؤاد الصفطي زوج الأخت هدى إبراهيم التي هي شقيقة الأخ مفيد وشقيقة زوجة أخي (الأخت فوزية إبراهيم).. وهكذا لم يعد في بيوت عائلتنا رجل واحد يمكن أن يتحمل المسئولية ويتابع شئون النساء والأطفال.

ثم تفاقمت الأمور بوفاة أمي ونحن بالمعتقلات لتترك بناتها وأحفادها في حزن مقيم، ولما لم يكن هناك رجل واحد من العائلة خارج السجن فقد قام الجيران بواجب الدفن والعزاء ومواساة نساء العائلة التي كان كل رجالها في السجن.. وحرصا على حالتي النفسية فقد تكتمت أخواتي خبر وفاة أمي عني حتى خرجت من السجن.

وكان من معاناة هذه الفترة أنهم قطعوا عني مرتبي بمجرد اعتقالي، وكذلك مرتب أخي سيد أبو النور لتعاني العائلة ضيقا لا حدود له حتى كادت تطرد من السكن لعجزها عن دفع الإيجار، وظل ذلك حتى فرج الله عنها وأعادوا صرف نصف رواتبنا أنا وأخي لتعيش العائلة منه.

ولم تكن المعاناة النفسية خصوصا للأطفال بأقل من المعاناة المادية؛ فقد كانت سمية ابنتي وأخوها أحمد يعيشان حالة نفسية صعبة، فكان زملاؤهم الأطفال في المدرسة يوجهون إليهما الإهانات بسبب ما كانت تنشره الصحف ويبثه التلفزيون من أن أباهما كان يسعى لاغتيال الرئيس جمال عبد الناصر.

وكانت سمية الأكبر سنا على قدر المسئولية وتحملت وأخوها مرارة الفراق وسجن الأم والأب، كما تولت أخواتي وبخاصة خيرية أمرهما وحاولن إخراجهما من الجو النفسي الخانق وبث روح الثقة واليقين فيهما.

وقائع محاكمات تنظيم ١٩٦٥ وإعدام هواش وقطب

كان محمد هواش كريما إلى أقصى حد، وكان معتدا بنفسه وبأهله، كثير التعلق بهم، أذكر أن أحد أعمامه زارنا ذات مرة وقد جاء حاملا معه من الخير الكثير (زبد وجبن وطيور...) على عادة كرام أهل الريف في الزيارة حيث يُحضرون أجود ما لديهم، ولم أكن قد أعددت من الغداء ما يليق به، فغضب محمد مني كثيرا واعتبرها إهانة ألا نكرم عمه ونحسن استقباله وقد تكلف مشقة الطريق، وكان يحترم أهله ويقدرهم كثيرا.

والحق أن عائلته كانت من العائلات الكريمة، لها عزبة في كفر الدوار تعرف باسمها (عزبة هواش)، ولم يقصّروا يوما في حقنا سواء في حياة ابنهم أو بعد استشهاده، فقد أوصى الحاج يوسف هواش قبل وفاته (توفي سنة ١٩٨٧) لي ولأولادي سمية وأحمد بثلاثة أفدنة ثم زادوها إلى خمسة يرسلون إلينا بإيجارها سنويا، وقد حذرت أحمد من بيع أرضه حتى يكون وسط أهله ومرتبطًا بهم، ولم تنقطع عنّا زيارتهم أبدا، وما زال أخوه الحاج أحمد يرسل إلينا بالفواكه والأرز والفول والغلال ما يكفينا العام ويفيض.

لقد كان محمد هواش رجلا ربانيا صاحب إيمان راسخ، وكانت لديه قدرة على التأمل والتفكير في ملكوت الله، كان يقول لي إنه أثناء سجنه يجلس في زنزانته ويتأمل صوت العصافير ويفكر كيف تَذكُر الله وتناجيه. وكثيرا ما كنت أستيقظ في جوف الليل فأراه يصلي ويبكي بتأثر وخشوع، وكانت هذه عادته منذ أول يوم زواجنا إلى يوم اعتقاله، وكنت أحيانًا أغضب منه وأشكوه لأخي سيد وكان مقربا إليه فيقول لي أخي:

إن محمد يُحلق في السماء بأخلاقه وسمو فكره وأنت في الأرض؛ فهو مع الملائكة وأنت تعيشين مع البشر، وقد كان أخي سيد شديد الحب له.

وقد كان رحمه الله شفافا.. له روح نورانية، وكان رقيق القلب ذا طاقة إيمانية متدفقة، وكان كثير التدبر والتفكر، ويروي بعض من سُجنوا معه أن أقرب فصول السنة إليه كان الخريف لأن تساقط أوراق الشجر فيه كان يذكره بنهاية الأجل.

وكان من شفافية قلبه أنه كان كثير الرؤى ويروي عنه رفيقه في السجن ثم زوج ابنته الأستاذ أحمد عبد المجيد أنه أخبره أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم عدة مرات، وأنه رأى سيدنا يوسف عليه السلام في ليمان طرة، وكان الأستاذ سيد قطب يشرع في تفسير سورة يوسف بـ«الظلال» وقال له سيدنا يوسف: أخبر سيدا أن السورة فيها ما تبحث عنه (وفسرها بأنها الحاكمية).

وكذلك رأى المسيح عليه السلام، وفي إحدى الليالي قص على الأخ أحمد عبد المجيد أنه رأى في غفوة سريعة أثناء سجوده ليلا أن أبواب الزنازين تفتح لهم ويخرجون منها ثم يدخل فيها رجال المباحث بدلا منهم، وهو ما تحقق بعد حرب ٦٧ بأيام وتصاعد الأزمة بين عبد الناصر والمشير عامر واعتقال أنصار المشير في الجيش والمباحث، ثم ترحيل الإخوان إلى السجون المدنية حتى يتسع المكان لهم، حيث رأى بعض الإخوة فعلا بعض رجال المباحث ممن كانوا يباشرون التعذيب في نفس السجن يدخلون الزنازين رهن الاعتقال بدلا منهم. كما اعتقل حمزة البسيوني في سجن القلعة وشمس بدران في السجن الحربي بعد ترحيل الإخوان منه.

ومن الرؤى التي قصها عليَّ الأخ أحمد عبد المجيد أيضا أنه رأى نفسه يسير في طابور يتقدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده الخلفاء الراشدون الأربعة ويليهم جمع آخر من الصحابة حوالي ستة أذكر منهم عبد الرحمن بن عوف، وهو في آخر الطابور حتى وصلوا إلى شاطئ البحر، وهناك كان أبو جهل الذي طعنه بسيف في بطنه.

كما رأى نفسه في جمع من الصحابة يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ولما جاء دوره للبيعة قال: يا رسول الله، هل غيَّرنا من بعدك؟ هل بدلنا؟ فأجابه صلى الله عليه وسلم: «لا، بل أمناء أمناء أمناء».

وقبل استشهاده رأيت له أنا أيضا أكثر من رؤيا مبشرة، فذات مرة رأيت أنني في بيتنا بالتل الكبير وأسأل أخي سيد عن زوجي محمد فيقول لي إنه يغتسل، وتكررت هذه الرؤيا ثلاث مرات، وعندما قصصت تلك الرؤيا قال لي الأستاذ سيد قطب: إن معناها أنه سيستشهد، وكان ذلك خلال المحاكمة الأخيرة.

كما رأيت رؤيا أخرى وفيها كان محمد واقفا فوق عمود مرتفع وأمامه ابني أحمد وهو يشير بأصبعه في جهة ما والتفتّ لأرى إلام يشير فإذا بطابور من الإخوان يسير في نفس الاتجاه الذي يشير إليه الشهيد وإذا بالقمر بدرًا، وكان ذلك بعد صدور حكم الإعدام، وبعد استشهاده رأيته في المنام ضخما وعاريا ويطير فوق سهول خضراء. رحمه الله رحمة واسعة، وأسأل الله أن يلحقنا بهم وألا يحرمنا أجرهم ولا يفتنّا بعدهم.

الحكم بالإعدام

بدأت اعتقالات الإخوان في يوليو ١٩٦٥، وكانت تشمل كل من سبق اعتقاله من الإخوان خاصة في أزمة ١٩٥٤، وقد تأخر اعتقال الأستاذ سيد قطب إلى أغسطس فيما كانوا قد اعتقلوا شقيقه الأستاذ محمد قطب في يوليو، وجرت التحقيقات في سجن القلعة الرهيب، وقد أعلن قرار الاتهام في يوم ٣ فبراير ١٩٦٦ في مؤتمر عقده وزير العدل، وكانت القضية جنايات رقم ١٢/ ١٩٦٥ أمن دولة عليا، ووجه الاتهام التقليدي للإخوان بمحاولة قلب نظام الحكم وزادوا عليه تهمة محاولة اغتيال رئيس الجمهورية.

وقد صدرت الأحكام في يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٦ في مبنى محكمة أمن الدولة العليا بمبنى قيادة الثورة بالجزيرة، وكانت تقضي بالأشغال الشاقة المؤبدة على خمسة وستين من الإخوان، فيما قضت على أحد عشر منهم بالأشغال الشاقة من عشر إلى خمس عشرة سنة، كما حكمت بالإعدام على سبعة، ومنهم زوجي، وهم بالترتيب: سيد قطب، ومحمد يوسف هواش، وعبد الفتاح عبده إسماعيل،

وعلي عبده عشماوي، وأحمد عبد المجيد عبد السميع، وصبري عرفة الكومي، ومجدي عبد العزيز.

حين صدرت الأحكام بالإعدام في حق زوجي والإخوان الستة وفيهم الأستاذ سيد قطب، سألت الأستاذ سيد قطب؛ هل سينفذون بالفعل تلك الأحكام؟ فقال: والله يا أخت فاطمة إن كنا أهلا للشهادة فسينفذون الحكم، وإن لم نكن أهلًا للشهادة فلن ينفذوا الحكم! كان هذا داخل الجلسة وهو في قفص الاتهام.

وقبل أيام من موعد تنفيذ الحكم حضر أحد الضباط للبيت فلم يجدني، فطلب من ابني التوقيع على ورقة، ولم يكن أحمد قد تجاوز الحادية عشر فرفض التوقيع، ونادى على زوجة خاله التي وقّعت على الورقة؛ التي كانت إخطارا بالزيارة فأخذت الأولاد وذهبنا لنراه.

وعند زيارتي له والتي سبقت تنفيذ الإعدام نقلونا إلى خيمة وأتوا به وقد تورم وجهه من شدة الضرب، ثم ألقوا به في الخيمة أمامنا وهو يقول: مش عارف أندم على إيه؟ ماذا فعلت لأندم عليه؟! وأخبرني أنهم كانوا يريدون منه أن يبدي ندمه على ما فعل ليعلنوا ذلك على الناس، ويستغلوه إعلاميا، ومن يدري فربما نفذوا فيه الحكم أيضا بعد إعلانه الندم.. لكنه رفض ذلك رغم التعذيب والإهانة.

ولما رأى ابننا أحمد أخذه في حضنه فبكى الولد وشكى له أن الناس وزملاءه في المدرسة والشارع يعيّرونه بأبيه ويقولون إنه الذي حاول قتل جمال عبد الناصر، وانفعل الولد ولم يكن قد جاوز الحادية عشر من عمره وقال لأبيه: أنا مش قادر أعيش بسبب الناس! فقال له أبوه: يا بني إن الموازين الآن مقلوبة ولن تستقيم إلا في الآخرة.

كان متأثرا جدا في هذه الزيارة، وعندما رأيته في هذه الحالة طلبت من الضابط أن يسمح لي بإحضار الطعام الذي أخذوه منا عند دخولنا، فقال لي محمد: لماذا أتعبت نفسك؟ ثم إنني صائم! وهل تعتقدين أنهم سيسمحون لنا بأخذ هذا الطعام معنا لنفطر عليه؟! ثم هوّن عليَّ فقال: يا فاطمة إن هذه الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وإلا ما سقى منها الكافر شربة ماء.. فهوّني عليك.. وقال لي: لا ترهقي نفسك.

كان معنا في هذه الزيارة ابن عمه الشيخ طوسون هواش؛ وكان شيخا أزهريا زميلا وصديقا للشيخ محمد سيد طنطاوي الذي أصبح مفتيًا ثم شيخًا للأزهر، فتأثر كثيرا من المشهد واحتضنه وبكى بشدة، فما كان مني إلا أن نزعته منه بحدة، وغيّرت موضوع الكلام فقلت لزوجي: هنئ ابن عمك بخطبته لابنة عمك (وكان طوسون ينتظر الزواج).

وقبل أن يأخذوه منّا قال لي: أوصيك بسمية وأحمد، فقلت له معاتبة: أتوصيني بأولادي؟! توكل على الله.. والله لن يخزيك الله أبدًا.. وفي الصباح أعدموه.

كان الإعدام يوم ٢٩ أغسطس من عام ١٩٦٦ في حق الشهداء الثلاثة: سيد قطب ومحمد يوسف هواش وعبد الفتاح عبده إسماعيل، وأوقف التنفيذ في حق الأربعة الباقين، وقد علمت أنهم لما أحضروا الشهداء الثلاثة للإعدام جاءوا بشيخ ليحضر التنفيذ فقال للأستاذ سيد قطب: قل لا إله إلا الله محمد رسول الله، فرد عليه الشهيد ساخرا: حتى أنت جئت تكمل المسرحية! نحن يا أخي نُعدم بسبب لا إله إلا الله، وأنت تأكل الخبز بلا إله إلا الله!

في انتظار الخبر المشئوم

خرجنا من السجن إلى بيت عمه الذي كان قد شدد على ابن عمه الشيخ طوسون بأن يأتي بنا إلى منزله وألا يتركنا نذهب لبيتنا. لم أكن أرغب في البقاء مع أحد ولكني رضيت حتى لا يغضب مني أحد وبعدها طلبت الذهاب إلى منزلي وانصرفت.

كنت قد كتبت تلغرافات لجمال عبد الناصر باسم ابنته سمية وابنه أحمد وباسمي وباسم والده ووالدته نلتمس فيها أن يخفف عنه الحكم بالإعدام، وفي نفس اليوم لما رجعت إلى منزلي وجدت أخاه الحاج أحمد ينتظرنا وأبلَغَنا بأنه أرسل هو الآخر تلغرافات يلتمس فيها تخفيف الحكم، وكان قد أرسل بها من الإسكندرية القريبة من قريتهم في كفر الدوار، وقد أراد الحاج محمد أن يرجع في اليوم نفسه لكنني رفضت أن يسافر في اليوم نفسه، وكان الرجل يستحي أن يبيت عندنا في غياب أخيه فقلت له إنني لست وحدي، وإن معي الأولاد، وأعددت له غرفة خاصة للنوم.

في الصباح استيقظت وكان أول ما فعلته أن أخذت الصحف من أمام باب الشقة، وكان أول ما صدمني الخبر المشئوم: تنفيذ حكم الإعدام في سيد قطب ومحمد يوسف هواش وعبد الفتاح عبده إسماعيل!

نزل الخبر عليَّ كالصاعقة ولكن الله ألهمني الصبر والذكر فأخذت أردد: لا حول ولا قوة إلا بالله.. إنا لله وإنا إليه راجعون.. لا إله إلا الله محمد رسول الله.. وظللت أذكر الله... وكان في ذلك الخير إذ تماسكت ولم أصرخ.. وعندما استيقظ أخوه الحاج أحمد لم أقل له مباشرة الخبر.. ولما طلب أن يسافر ألححت عليه في البقاء لتناول الإفطار أو شرب كوب من الشاي قبل السفر، ولما دخلت المطبخ أخذت أحدث نفسي مذهولة وأقول: فعلها المجرمون! وعلا صوتي دون أن أشعر فسمعني أخوه الحاج أحمد وسألني ماذا حدث؟! فقلت له البقاء لله.. فأخذ يبكي بحرقة على أخيه الأكبر.. والغريب أنني أخذت أواسيه ولم أبك.. إذ يبدو أن دموعي كانت قد جفت من كثرة ما لاقيت.

لم يمض الكثير من الوقت حتى علمتْ زوجة أخي سيد الخبر فجاءتني ومعها أختي ثريا وأختي الصغيرة كاميليا، كما أتت الأستاذة نعيمة والأخت علية من نساء بيت الأستاذ حسن الهضيبي، وكانت المفارقة أن المخبر الرابض على الباب حاول أن يمنعهن من الدخول لأن هناك ثلاثة أشخاص بالداخل، وقد كانت لدى المسكين تعليمات بعدم السماح له بوجود أكثر من ثلاثة أشخاص.

وقد ألهاني الخبر المفجع عن أن أسأل عن الأخوات أمينة وحميدة قطب أو أذهب إليهن لأواسيهن في الشهيد سيد قطب الذي أعدم هو وزوجي في اليوم نفسه.

وحين أسترجع ثباتي في هذه المحنة العنيفة وغيرها من المحن أتذكر تربية أمي لنا، وأنها كانت صاحبة الفضل في أن نتخلق بأخلاق الثبات والصبر عند الشدائد والمصائب. لم تكن أمي متعلمة لكنها كانت عميقة التدين والإيمان بالله، وكانت تقول لوالدي رحمهما الله: سأدخل الجنة قبلك إن شاء الله.. فقد كانت تسعى في الخير ومساعدة المحتاجين وتعلمنا ذلك وتشدد علينا فيه، وقد كانت ابنة لأسرة معروفة بالتدين والعبادة حتى إن والدها توفي وهو ساجد في الصلاة، وقد رأيت لها يوما رؤيا أظنها تدل على حسن الخاتمة لها إن شاء الله.

كذلك كان والدي من عائلة متدينة معروفة بعمل الخير حتى إنها اشتهرت بعلاج الفلاحين الفقراء ومساعدتهم، وقد كان بيتنا دائمًا مفتوحًا للناس، وكان أبي يجمعنا يوميا بعد صلاة العصر أو المغرب ويطلب مني أن أقرأ حديثًا نبويًّا من البخاري ثم يقوم بشرحه لنا، كان جدي أزهريا وزميلا للشيخ المراغي شيخ الأزهر الأسبق. وقد أطلق على أبي اسم «محمد عبد الهادي» اسمًا مركبًا، وكذلك فعلنا مع ابني أحمد إذ أسميناه «أحمد جهاد»، وقد قامت شقيقتي كاميليا بتسجيل اسمه مركبا ليصبح: أحمد جهاد محمد يوسف هواش، وكان أبوه وقت ميلاده مسجونا.

ما بعد الإعدام حتى بداية انفراجة السادات

في اليوم التالي لإعدام زوجي الشهيد جاءني أحد رجال البوليس مطأطئ الرأس وهو يكاد يجهش بالبكاء، وسألني: هل هذا منزل محمد يوسف هواش؟ قلت له: نعم. فلما علم أنني زوجته قال لي إنهم يطلبونني في قسم مصر القديمة فأخذت معي زوجة أخي وذهبنا لقسم الشرطة، وهناك أعطوني ورقة وقلمًا وقال لي الضابط: اكتبي ما أمليه عليك، فكتبت: «أتعهد أنا زوجة محمد يوسف هواش بألا أقيم سرادق عزاء لزوجي الذي أعدم أمس». وما إن كتبت اسم زوجي حتى انهمرت دموعي بغزارة، وتأثر الضابط كثيرا وقال لي: يا ست فاطمة.. إن من في باطن الأرض اليوم أفضل كثيرًا ممن على ظهرها.

رجعت إلى منزلي وبقيت فيه أياما شعرت فيها بالوحدة القاسية بعدما خلا المنزل من زوجي الذي استشهد ومن أمي التي ماتت وأنا بالمعتقل ولم أرها، وعشت أسوأ أيام الحزن والأسى... وفي اليوم الخامس خرجت إلى العمل وتوجهت إلى المنطقة التعليمية بمجمع التحرير لاستلام عملي. استقبلني أحد الموظفين بالترحاب وحاول أن يخفف عني فدعا الله لي بالنصر أنا وأولادي، ثم قال بعد أن مهد للخبر السيئ الذي يحمله لي: لقد نقلوك خارج القاهرة إلى منطقة بنها التعليمية! سألته: وأين يذهب أولادي؟ لم يعد معي أحد؛ فلقد ماتت أمي وذهبت أختي لبيتها ولم يعد هناك من يراعي أولادي في غيابي!

قررت الاستسلام وعدم الدخول في نقاش، وقررت القبول بالأمر الواقع هذه المرة، فاستخرجت مفتاحا لأحمد وآخر لسمية حتى يستطيعا دخول الشقة في حالة

عدم وجودي، ولما كان الخوف ينتابني على صغيري أحمد طلبت من مدرس زميلي اسمه الأستاذ حلمي أن يعطيه درسا خصوصيا مع بعض الطلاب الذين كان يدرس لهم في بيته، وقد كان هذا مخرجا لكي لا يبقى أحمد في الشارع بعد خروجه من المدرسة إلى أن أعود من عملي في مدينة بنها.

كنت أخرج من العمل سريعا فأركب المواصلات وأتنقل بينها حتى أصل إلى محطة الغمراوي ثم آخذ ابني وأرجع للبيت وأتابعهم في دروسهم ومذاكرتهم، وقد أكرمني الله فيهم؛ فأحسنت تربيتهم وتعلميهم حتى تخرجوا من كلية الطب وصاروا أطباء متميزين بين أبناء جيلهم.

أذكر أنه عقب استشهاد زوجي بأيام أنني جئت أفتح إذاعة القرآن الكريم فكان أول ما سمعته قوله صلى الله عليه وسلم: «أيما امراة مات عنها زوجها فحبست نفسها على عيالها فأنا وهي كهاتين في الجنة». فاستبشرت خيرا واعتبرتها رسالة لي شخصيا، وقلت بتأثر: أنا معك يا رسول الله.. أنا معك يا حبيبي يا محمد.

ورغم أنهم أعدموا زوجي ونقلوني من عملي ظلما لي خارج القاهرة لم تتركني المباحث وشأني؛ فخصصت لي مراقبة أمنية تتبعني كظلي، ولكن الله دائما كريم معي إذ فوجئت يوما برسالة من محافظ بنها في ذلك الوقت ولما ذهبت إليه سألني: هل تعرفين الحاج عبد اللطيف مكي؟ فقلت له: إنه زوج أختي.. فأخبرني أنه عمل معه في قطر وتعرف عليه عن قرب وأن الحاج مكي كان كريما معه وقدم له خدمات كثيرة، وقد وعدني الرجل برد الجميل وإعادتي لأولادي سريعًا، بل وعدني بأنه سيقدم مذكرة للمباحث بشأني.

تضييق ومنع من السفر

كانت حالتي النفسية قد ساءت بعد استشهاد زوجي ووفاة أمي وأنا في المعتقل، فتوسط لي الأخ عبد اللطيف مكي زوج أختي لدى أمير قطر لكي أعمل هناك، فرحب الرجل وطلب منه أن أنتقل للعمل لديهم إذ كانوا يؤسسون تعليمًا للبنات وأخبره أنه ينوي أن يعينني مديرة بتعليم البنات، ثم أرسلوا لي ـ بالفعل ـ عقد عمل، أخذته

وذهبت به إلى الضابط صالح داود المسئول بأمن الدولة فكلمته عن حالتنا بعد إعدام زوجي وقلت له: إن حالتي النفسية وحالة أولادي تستدعي أن نقوم بتغيير المكان، لقد أصبحت لا أستطيع دخول حجرته التي كان ينام فيها وكذلك أولادي، وأنني لهذا سأقبل هذا العقد وسأسافر إلى قطر، فوافق ولم يبد أي اعتراض.

في هذه الأثناء كانت وزارة التعليم قد اعتمدت عقود العمل وحوّلتها إلى إعارات ونشرت أسماء المعارين ولم أكن أعرف بذلك. وبدأت أستعد للسفر إلى أن جاء اليوم الذي يسبق السفر ففوجئت بمخبر يطرق الباب ويخبرني أن أحد ضباط المباحث ـ لا أتذكر اسمه ـ يريدني، فذهبت إليه وسألني: هل تريدين الهروب؟ فقلت: أهرب من ماذا؟ قال: تهربين منا، فقلت: لست أنا من تهرب، فقال: أنت ستسافرين إلى قطر؟ فقلت: إن معي عقدًا للعمل، فقال: أنت ممنوعة من السفر، فسألته: ومن منعني؟ فقال: أنت ممنوعة من فوق! فقلت ساخرة: من فوق؟! من ربنا؟! فقال: أنت ممنوعة ولا تجادلي.

فقررت الذهاب إلى وزير الداخلية زكريا محيي الدين، ولكن مدير مكتبه منعني من الدخول وقال لي: لو تكلمتي عشر ساعات فلن أدخلك، ولو كان في دخولك فائدة لأدخلتك ولكنه لن يجدي.

لم يكن لديَّ في ذلك الوقت ما يكفي من المال للحج، ولكنني رأيت في منامي أنني أقف بعرفة واستيقظت وأنا على ثقة بأن الله سيرزقني الحج، وكان رجل الأعمال الأخ عبد العظيم لقمة يقدم رحلات حج لمن ليس في استطاعته الحج، وأشار عليَّ الأستاذ أحمد عبد المجيد زوج ابنتي أن أذهب معه للحج، وترددت لأنني كنت لا أعرف هل يقبل الحج بهذه الطريقة أم لا بد أن تكون من مال الحاج، وبعدما أفتانا الأساتذة بجواز ذلك سافرت للحج.

كانوا قد منعوني من السفر فلم أفكر في إعادة الكَرَّة معهم ثانية طوال عهد جمال عبد الناصر وحتى بعد سنوات من تولي السادات الحكم، وكان أن تزوجتْ ابنتي سمية عام ١٩٧٦ ولم تزل طالبة في السنة الثانية من كلية الطب، وبعد زواجهما شعر زوجها باحتمال أن تحدث اعتقالات للإخوان وكان ذلك عام ١٩٧٧ فسافر إلى السعودية

واستقر هناك للعمل، وقد عرضوا عليَّ فكرة السفر معهما فقلت لنفسي: عندما أصل لسن المعاش سوف أذهب للحج!

ولما سافرت إلى الحج وأنا هناك حاول زوج ابنتي الأستاذ أحمد أن يبقيني معهما بعدما لم يبق أحد معي في مصر فرفضت، وظلا يحاولان إقناعي بالبقاء فوافقت في النهاية وظللت هناك أربع عشرة سنة في مكة بجوار الحرم الشريف، وكنت أقضي فيه شهر رمضان من كل عام، وأقوم بأداء العمرة في العشر الأواخر، كما أديت الحج والعمرة عن زوجي عدة مرات.

ورغم ذلك فإن بعد العسر يسرا

أما عن قصة زواج ابنتي سمية فقد كان أولَ من تقدم للزواج منها طالب في كلية الطب كان مع والدها الشهيد في زنزانته، وقد صار فيما بعد أستاذا كبيرا وقياديا في الإخوان، و قد أرسل إليَّ وهو ما زال في السجن يطلب يدها، وكانت سمية ما زالت في الصف الأول الإعدادي، وقد قال وقتها إنه طلبها من أبيها الشهيد وإنه أبدى موافقته، فقلت له إن ذلك سابق لأوانه، وعندما تكبر سنتحدث في الأمر.

وعندما حصلت سمية على الثانوية العامة بتفوق أرادت دخول كلية الطب فوجدت إحدى الأخوات تأتيني لتقول لي إن الأخ يقول لك لا تُدخلي سمية كلية الطب! فلم يعجبني ذلك وقلت: أيشترط عليَّ من الآن؟! ورفضت هذه الزيجة.

ثم حين وصلت سمية إلى السنة الثانية بكلية الطب جاءتني سيدة اسمها إيمان تربطها صلة قرابة مع عائلة سيد قطب (والدها هو شقيق زوج شقيقة الشهيد سيد قطب) وأخبرتني أن هناك أخا من الإخوان الذين كانوا مع الشهيد في قضية ١٩٦٥ أُفرج عنه مؤخرا ويريد الزواج، وأنهم قد رشحوا له سمية، خاصة وأنه كان من أكثر المقربين لوالدها الشهيد، وكان من المفترض أن يعدم معه، ولكن الإعدام لم ينفذ في حقه، وبالفعل ذهبنا عند بيت الأخت إيمان في الدقي، وعندما رآها رحب بها كثيرا وحدث بينهما القبول، فتزوجت سمية من الأخ أحمد عبد المجيد عبد السميع الذي كان رفيقا لوالدها في السجن، وكان سيعدم معه في القضية نفسها.

أكرمني الله في أبنائي وأكرمهم الله بفضله وبفضل عمل أبيهم الصالح؛ فتخرجت سمية طبيبة ورزقها الله ثلاثة أولاد وبنتين، وتخرج أحمد طبيبا وحصل على الزمالة البريطانية في الجراحة؛ وهو مقيم الآن في إنجلترا، وقد رزقه الله ولدين وبنتين.

وأحسب أن هذا من كرم الله علينا بفضله ومنته، وجزاء أوفى لوالدهما الشهيد الذي ضحى بحياته من أجل دعوته.

ملحق (١)

بعض رسائل يوسف هواش إلى زوجته فاطمة عبد الهادي

الرسالة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

زوجتي الحبيبة

السلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته

وبعد،

كل شيء بقدر وما من أمر إلا وله عند الله حكمة والأمر كله لله من قبل ومن بعد. لقد نسيت نفسي وفكرت فيكِ ورق قلبي لكِ وتحرك كل ما في نفسي من الأسى لحالك، وانطلقت جوارحي كلها مع لساني في مناجاة الله رب العالمين أستغيثه وأسأله الرحمة لي ولكِ. وكنت في حالة أشبه بحالة المتصوفين أقول: «يا رب هذا الحرمان من أجل دعوتك وهذا الأسى كله في سبيلك، اللهم إنك تعلم أني لم أخرج من بيتي إلا ابتغاء مرضاتك، وهذه زوجتي تعاني فيك ما أعاني أنا وهي وأخواتنا وإخواننا جنودك في الأرض وعبادك في الدنيا، اللهم إننا رضينا بك، واحتسبنا عندك، وأملنا في رحمتك فكن اللهم لنا وخذ بأيدينا حتى نظل على عهدك ووعدك» واستمر لساني وقلبي، وكل جارحة في بدني في هذا النجاء الجميل، وما إن فرغت حتى وجدت حلاوة الصبر تنساب في قلبي، ووجدتني ساكنا راضيا وأخذت أنظر إليكِ من خلال العجب أستشف من ضمير الغيب بنبضات قلبك وأتجه إلى الله أسأله في حرارة أن يفيض عليك السكينة وأن يلهمكِ الصبر.

إن كل ألم وكل مشقة وكل عناء إنما هو رصيد، فأرجو الله أن يدخره لنا ليوم

لا ينفع فيه مال ولا بنون، إننا نتاجر مع الله فبيننا وبينه قائمة حساب كل ما ينقص هنا يزيد هنالك، نسأل الله أن يكتبنا في الصابرين، وأن يجعلنا في الذين جاهدوا فيه وصبروا ابتغاء وجهه. وبعد فراقكِ مباشرة جلست مع الأستاذ سيد ووصفت له حالة أحمد فخشي أن تكون حالة دفتريا، وأمر بأن أكتب هذه الرسالة وأشدد عليك فيها بعرض أحمد على الدكتور إن لم تكوني قد عرضته فعلا؛ لأن التأخير في هذا المرض... له حساب وإذا وصلك الرسول قبل عرض أحمد على الدكتور فاطلبي منه أن ينتظر حتى تعرضيه.. وعرِّفيه بالنتيجة، واكتبي لي أيضا عن حالة سمية وحالة أحمد الآن.

فكرت أنك ستتركين الزيتون والجبنة بالباب كما ذكرتِ، وكذلك كتبت طلبا للدكتور يصرح بإدخاله واعتماده لديه فعلا.. ولما أرسلنا إلى الباب لإحضارها قالوا إنك أخذتها معك.. ولذلك يمكن إرسالها غدا مرة ثانية إن شاء الله على أن تصل للباب في الساعة العاشرة صباحا وسنرسل نحن الطلب المعتمد من الدكتور في نفس الموعد، فإذا لم يكن إدخالها لأي سبب فيمكن أن يعود بها الرسول من غير أن يتعب نفسه طويلا، وعند حضور الرسول يقول لمن بالباب إن المصحة بها طلب معتمد بهذه الأشياء باسم محمد يوسف هواش، ويقول لهم إن الاعتماد تم أثناء وجود الذين أبلغوه بهذا.

يجب إبلاغ السجون بسرعة بأن الجماعة لم يفرج عنهم حتى تطمئن القلوب وتزول الفرقة في الرأي وتصح الثقة في الله والتوكل عليه وحده.

سلامي وتحياتي للجميع.

نسيت أن أسألك عن حسين شعبان فقد كانت فاطمة أبلغتني في زيارتها أنك قلتِ لها إن حسين شعبان يسلم علينا نحن الثلاثة أو الثالوث كما ذكرتِ فهل هذا صحيح وهل عثر عليه هنا؟ وإن كان هذا صحيحا فأين محمود يونس؟ أفيديني عن موعد انتهاء إجازته الصيفية. الآن وقعت على حوالة بمبلغ ١٠ جنيهات، وقرأت خطابك بأنك تعجلت في إرسال هذا المبلغ، المبلغ القديم لم ينفد، ثم إن «الكانتين» مغلق الآن. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أرجو أن تحضري أحمد وسمية معك في الزيارة القادمة إن شاء الله إن كانت صحتهما تسمحُ، وأرجو أن تسمح إن شاء الله.

الرسالة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

زوجتي الحبيبة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،

لم تكفِ جلستنا القصيرة، ولم ترد عني شوقي إليك ولم تخفف حنيني إلى زوجتي، بل إني الآن أكثر شوقا وأشد حنينا وسأظل كذلك إن شاء الله، وإن جمعتني بك أيام العمر، هذه مشاعري الحقيقية، وليس كلاما من قبيل «تحلف لي أصدقك أشوف أمورك أستعجب». وإني لأرجو الله تعالى أن لا أكون ممن «يقولون ما لا يفعلون»، فأحب أن أحدثك عنها قليلا غير أني أرجو أن يكون حديثي هذا بريئا خالصا يحمل طابع المودة والتفاهم ولا يهدف إلى الخناق ولا حتى العتاب.

مما لا شك فيه أن هناك خلافا في وجهتيْ نظرنا تجاه بعض المشاكل، وفي تقديرنا لبعض الأمور، وقد سبب لنا هذا متاعب كثيرة، وسبب لي أنا بالذات آلاما كبيرة تتجدد مع الأيام والظروف، وتزيدها طبيعتي المرهفة الحساسية الشديدة التأثر. ولقد كانت الظروف الأخيرة فرصة قاسية لتجددها بشكل عنيف، ولا تسألي عن الليالي العديدة التي قضيتها مسهد الجفن مؤرق الأعصاب، وكم كانت طويلة ومرت هذه الساعات التى انتحيت فيها ركن المصحف الضيق الخالي تتتابع على ذهني الصور المؤلمة التى يوحيها الظرف، ولقد كانت بشعة تلك الصورة التي تخيلك فيها واقفة في طابور عسكري تتفرسك الأعين الخائنة وتعبث بك الأيدي الملوثة وهي تشرح لك أوضاع ضرب النار! ولقد تبعت هذه الصورة كلها مربوطة بموضوعها الأصلي الذي اختلفت فيه وجهتا نظرنا، ومن البديهي أن تحضرني كلما فكرت في هذا الموضوع كل الأمور الأخرى التي على شاكلته، والتي كان لك فيها مسلك يشابه مسلكك فيه.

ومن هنا يمكن أن تتصوري تلك الآلام التي قاسيتها، والتي كان من الطبيعي أن تتضح على وجهي في شكل «تكشير خفيف»، وكان من نتيجة ذلك أن تتألمي أنت وأن أتألم أنا لألمك، بل إن ألمي لألمك يرجح كل هذه الآلام التي أحدثك عنها ولو أضيف إليها أضعافا أضعافا.. إن دموعك يا زوجتي هي في حسي حبات من الجمر تحرق فؤادي وتفري كبدي، وإن تنهداتك لهي أحمى علي من نار السموم.. وهذا

أيضا ليس من قبيل «تحلف لي أصدقك أشوف أمورك أستعجب» إنني لا أقصد إيلامك بهذا الكلام، ولا أهدف إلى العتاب كما قلت، ولا أطلب إليك تصرفا ما بناء عليه، وإنما أنا زوجك أشكو إليك حالي وأبسط لك نفسي كما هي وأشركك في مشاعري وما يعتريني.

فليس هناك معي ظهير وليس من هو أحق بها منك، أليس كذلك يا فاطمة؟! ألست زوجتي؟! على أني بعد هذا كله موقن تمام اليقين، وواثق كل الثقة من أن فرصة ما تتاح لنا، لكي نلتقي فيها سيكون من شأنها أن نلتقي في وجهتيْ نظرنا وتقديرنا للأمور، وستزول كل هذه الآثار، وسنكون بعدها إن شاء الله من أسعد الناس. وكل ما أرجوه الآن وألح على الله فيه أن يعينني على أن أنسى كل شيء، وأن أترك الأمور حتى تتاح لنا هذه الفرصة إن شاء الله، ولعل فرج الله يكون قريبا كي أسعد بك يا أعز الناس، وكي أريحك وأستريح في كنف مودتك وأُنس عشرتك.. أَلِحّي على الله معي في الدعاء يا فاطمة وساعديني على ذلك.

يا زوجتي الحبيبة المحبوبة يا أعز الناس لعل خطابي هذا لا يقع من نفسك إلا حيث أردت، ولعله يصوّر لكي نفسي الآن وهي صافية مملوءة بالعطف عليك والحنين إليك، ولعله ينقل إليك خفق قلبي وهو يطوف بك وأنت في فراشك مع فراخك الزغب الصغار فقد بلغت الثانية عشرة ولا أدري ولا أسمع حولي إلا غطيط النائمين وشخيرهم، إن قلبي الآن برفقتك أنت في حنان وإشفاق إنه يمسح على أجسامكم بأنامله ويبسط عليكم أغطيتكم كأخلص ما يكون الزوج وأبر وأحن ما يكون الأب.. ومرة أخرى أرجو أن يقع خطابي هذا من نفسك حيث أردت.

فقد أردت أن أريحك بعدما سمعت منك أن كتابتي تعجبك، وحمدت الله تعالى أن جعل لي لو حاجة واحدة تعجبك فهو مكسب على كل حال. أردت أن يريحك هذا الخطاب، برغم ما به من الصراحة والوضوح، بل إن هذه الصراحة ستكون هي الوسيلة الأولى لراحتنا إن شاء الله بعد أن تبيّنت أن الغموض والسكون هما السبب في كل ما لاقينا من مشاكل.. إنني لو هيأت معك كل موضوع في أوانه أولا بأول لكان حالي غير ما هو الآن.

إنني لا أشك في إخلاصك وأخلاقك وقبولك للنصح، ولكني أنا الذي لم أقم بحقك في قول الله تعالى ﴿فعظوهن﴾، ولقد عزمت على أن أصارحك بكل ما في نفسي أولا بأول فذلك أهدى وأحق. هذا الخطاب هو أولى خطوات هذه الطريقة..

يا زوجتي.. يا نصف الحياة وبقِية النفس.. كيف أنت الآن؟ وكيف متاعبك التي حدثتني عنها أثناء الزيارة؟ متاعب البيت والأولاد بجانب مجهودك الآخر المشكور إن شاء الله. لقد تأثرت بالغ التأثر ووددت لو أن لي قوة فأحمل عنك متاعبك كلها، ولكن الحول والقوة لله ربِ العالمين.. وهو كفايتنا وحسبنا.

لقد وقفت أودعك يا فاطمة وداع المشفق المحب.. وقفت أشيعك بنظرتين؛ نظرة إليك فيها كل ما عرفت النفس البشرية من العطف والحنان والتقدير، ونظرة إلى السماء أستعين بالله لك فيها وأسأله الرعاية والحماية والإيواء لك ولأولادك. إنني أستودعك الله الذي لا تضيع عنده الودائع، وأستخلفه فيك وهو ولينا في الدنيا والآخرة وهو المولى ونعم الوكيل. مما أنساني الشياطين في زيارتنا أن أسألك عن الولد الكبير، وأن أستوضح بعض الأمور التي بلغتني عنه، وأن أبلغه عزمي على الثبات معه حتى النهاية، أبلغيه ذلك، ثم وداعا يا أعز الناس، السلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته.

زوجك

الرسالة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن والاه، ثم السلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته وبعد.

هذه رسالتك الأخيرة بين يدي قرأتها في حزن بالغ وأسى عميق، والحزن والأسى غير الغضب والحنين، فإن الأول لا يقطع رحما ولا يفسد مودة، وإني لحريص جد حريص على رحمي فيكِ ومودتي لكِ، وهما نعمتان أنعم الله بهما عليَّ، غير أني لا أكتمك أني أغضب في أول الأمر وقفزتْ إلى نفسي ذكريات كنت أحب أن يعض عليها الزمن وتطويها الأيام والأحداث، ولهذا ترددت كثيرا بين أن أكتب لك كلاما شديدا يحمل ثورة الغضب. وبين أن أصمت في تجمل كما يصمت الحزين الأسي.. ولكني رأيتني مخطئا في الحالتين.

ففي الحالة الأولى قسوة عليك، وأنا الذي أحبك ولا أطيق إيلامك.

وفي الحالة الثانية إهمال لك وإهدار لحقك عليَّ في التوجيه والذكرى.

وأخيرا استقرت نفسي ورضيت أن أكتب هذه العبارات التي تقرئينها وهي كما

تصرين أقرب إلى العتاب والتذكرة منها إلى التعنيف والتأنيب، وأرجو أن أكون من الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس.

اسمعي يا فاطمة، إني كنت، وما زلت، أعتقد أنك قطعة من نفسي وبضعة من قلبي وروحي فهمًا عن القرآن الكريم وإحساسًا بالفطرة التي فطر الله الناس عليها، فأنت بهذا أعز الأحباب على الإطلاق، لا قبل ولا بعد، أشكرك وأعذرك في الوقت نفسه، فإن القلوب بين يد الله يضع فيها من الحب ما يشاء لمن يشاء وله الحكمة البالغة، إلا أني أذكر فقط، هذه واحدة، ولا أحب أن تخاطبي فيها أحدا ولا تذكريها لغيري فإن الكلام فيها يفسد ولا يصلح.

أما الثانية: فهو سؤال توجهت به مرة إلى نفسي: هل أصبح حقي عند زوجتي، التي أحبها كل هذا الحب، هو مجرد العلم بالشيء فقط؟ ولكني أعود فأقر أنه سؤال لا أصل له في الواقع، فقد أجبت عنه من قبل، أجابتني عنه زوجتي الحبيبة، أجابتني عنه إجابات عملية.

وما موضوع الاستمرار في العمل حتى الآن رغم أنفي إلا إحدى هذه الإجابات العملية، أو لعلك تقولين: ما هذا العبث؟ فلو فُرض وأطعتك وقعدت عن العمل من يوم تنازعنا عليه فمن أين كنا نأكل أنا وأولادك؟! ألا تحمد الله أن جعل لك زوجة عاملة تكد وتتعب لتنفق على نفسها وعلى أولادك، بل وعليك أنت نفسك؟! ألا تعقل يا رجل؟! أكاد أسمع هذه الكلمات تتمتم بها شفاهك الجميلة، أو لعلي أكون واهما، على كل حال غفر الله لنا ذلك يا زوجتي، غفر الله لك كل شيء حتى هذه الكلمات لو قلتها فإني الآن لا أحب أن أبغض أو أشاحن أحدا من الناس فما بالك أنت؟! ولكني أتجمل بالصبر وأحتسب على ما أكره، وأوكل له الأمر يقضي فيه بحكمه وهو أحكم الحاكمين. على أني بعد هذا كله لا أبخسك حقك ولا أنسى لك فضلك، وإني لذاكر لك كل رعايتك لي ولأولادي ما حييت، وأرجو ألا أكون ممن ينسى معروفا لإساءة، ولا ممن يغض عن فضل لغلطة.

إذن استخرجي بطاقة شخصية كما شئت، واعملي ما أحببت، وافرضي أني لست موجودا، أو «شرّابة خُرج كما يقولون»، أما أنا فسأظل على دعائي لك واستغفاري الذي لا ينقطع في سجود ولا قيام، أقول من كل قلبي: غفر الله لك يا أعز الأحباب على الإطلاق، لا قبل ولا بعد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لرسالة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وكل عام وأنتم بخير وعافية، ولعل مولودكم الجديد السعيد يكون قد جاء، وبعد،

فإن أية فرصة تلوح أغتنمها للاتصال بك إذ هي فضل من الله أشكره عليه، وهي مجال طيب أصدقك فيه الحديث وأبادلك النجاء، وأنقل إليك المشاعر وأحبَّ الأماني.

وإن هذه الفرصة التي تحمل إليك هذه الرسالة قد جاءت عفوا إلا أنها كانت ضرورية للغاية، وترجع ضرورتها إلى أهمية الموضوع الذي أحدثك فيه، والمعاني التي ملأت جوانب نفسي منذ لاح في الأفق نور هذا اليوم المجيد، وأخذت الأيام تقترب بنا رويدا نحو هذا العيد المبارك؛ عيد الفطر، أعاده الله علينا بما يحب لنا ويرضى.

ما معنى العيد؟ وما حقيقة هذا النسك الوضاء الشفاف؟ الذي يفهمه الناس أنه فرصة لملء البطون بالطيب من الطعام والشراب، ومجال للزينة والخيلاء بما يزهو ويغلو من الثياب، فإذا حسنت أفهامهم وارتفعت مشاعرهم فهي مناسبة كريمة لتبادل التهاني وإزالة الخصومات، ثم هو مجال للتبريك على أن جاءهم العيد وهم موفورو الصحة، طيبو العيش، لم ينقص منهم أحد، ولم تصبهم مصيبة في مال ولا متاع، وجرى العرف على أن يقول المهنئ بالعيد كل سنة وأنت طيب، فيكون الجواب وأنت طيب، أو كل عام وأنتم بخير، والجواب وأنت بالصحة والسلامة، أما إذا أصابتهم مصيبة في نفس أو مال، فلا عيد ولا تهنئة ولا فرح، بل حزن وغم ومواساة، فإن مشاعرهم وعواطفهم إنما تنبع من حياتهم التي يحيونها وترد إلى متاع هذه الدنيا التي يعيشون لها ويهتمون بها، فإذا سلمت لهم عيّدوا وفرحوا، وإذا أصابهم فيها ما يكرهون فلا عيد ولا فرح ولا تهنئة، هذه حال الناس اليوم، فهل كان هذا حال المؤمنين يوم آمنوا بالله ورسوله؟ أنا أشعر، والآن أكثر من أي وقت مضى ـ أنه لا.

كان العيد في نفوس أحبابنا وآبائنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم احتفالا كريما يشكرون فيه على أن منّ الله عليهم بهذا الدين، ورضي لهم هذا الإسلام وأراهم مناسكهم وحقق فيهم دعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

ولقد كان العيد يأتي عليهم وقد ابتلاهم الله تعالى بالجوع والخوف ونقص الأموال

والأنفس والثمرات، كان يأتي وقد استشهد منهم الأعزة وفقدوا الأحبة وأصيبوا في الأزواج والآباء والأبناء، فما كان كل ذلك ليطفئ من بهجة العيد في نفوسهم، بل على العكس كانوا بهذا كله أكثر سعادة وأعمق شكرا وأكثر فرحا بالعيد، بل كان هذا هو المعنى الحقيقي للعيد؛ كان البذل والأداء والتضحية والتوفيق، لهذا كله كان هو المناسبة الحقيقية لأن يشكروا الله ويفرحوا بفضله ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾.

بل إن شعيرة العيد نفسها جاءت في شكل يؤكد هذا المعنى، جاءت عقب الأداء المادي والمعنوي، فكان عيد الفطر عقب الصيام وكان عيد الأضحى عقب الحج، ﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾، فنحن بهذا المعنى أحق الناس بالاحتفال بالعيد، وأجدرهم بالفرح بفضل الله والإحساس به وشكر الله في هذا اليوم الكريم، نحن الذين نتذوق جمال هذا الدين، ونحس من أعماقنا أنه فضل الله ونعمته على عباده، وأنه منّ علينا به، منّ علينا أولا، يوم نزل هذا الدين وبعث الله به نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال لنا وهو ربنا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾، ومنّ علينا ثانيا يوم أن ردنا إلى فهم هذا الدين وتذوقه من جديد بعد أن طال علينا الأمد، وكادت تقسو قلوبنا، وكدنا نضيع في الضالين.

نحن الآن نتذوق هذا الدين ونشعر به ونجده في خلجاتنا غضا طريا كيوم نزل؛ حيا تنبض به قلوبنا وممزوجة به دماؤنا، ونحن الآن نؤمن برسالة هذا الدين ونرضاها لنا، والتي أتمها أبونا إبراهيم على ربه وسأله إياها محققا بهذا الدين وهذا النبي ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾، ثم نحن الآن الذين نحمل الأمانة ونقوم بالعبء ونرفع الراية ونسير في الطريق الذي سار فيه آباؤنا وأسلافنا؛ أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

فنحن بهذا كله يا فاطمة أحق الناس بالعيد، وأجدرهم بالفرح به، وأولاهم بشكر الله فيه، ولهذا كله فإني أدعوك يا زوجتي إلى الإحساس بهذه المعاني كلها، افرحي، واشكري الله، وخذي زينتك، وكلي الطيب من الطعام، وشاركي أهلك وأولادك فرحهم وسرورهم، واقبلي التهنئة من المؤمنين والمؤمنات؛ فنحن في فضل من الله ونعمة. أما أنا فصادق الإحساس بفضل الله شاكر لأنعمه، راض عن ربي كل الرضى مطمئن به، لا أيأس منه في بلاء، ولا أركن لغيره في عطاء، أرى في غير لبس، وأشعر في غير شك أن الله اختارني فيمن اختار لأكون من عباده ﴿ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾، وليس بعد ذلك فضل وليس وراءه منة إلا أن يزيدني الله فيه ويثبتني عليه ويتقبله مني، وهذا هو معنى العيد عندي، ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾.

علمنا الآن أنه تقررت الزيارة في أول وثاني أيام العيد؛ أي إن لكل منا زيارة واحدة، في أول يوم، والثانية في اليوم الثاني، وهذه فرصة طيبة يمكن أن يزورني فيها من أراد، وزيادة في الفرصة فأعطكم عددا من الأسماء يمكن زيارتي بها علاوة على اسمي، وهي: رمضان علي حامد ـ من سجن القناطر، والمغاوري عبد الغفار بدوي ـ حكمه عشر سنوات وهو من المنزلة، ومحمد محمد الشرقاوي ـ حكمه خمس سنوات وهو من كفر الشيخ، والكل موجودون في المصحة طبعا.

تحيتي إلى أخي الأستاذ سيد، ولعل الأخت فوزية تكون الآن في صحة جيدة، وإن كنت لا أعلم إن كان الوضع قد تم أم لا، وإذا أحب آل بسيوني أن يزوروني فلا مانع.. التموين يجب أن يصلنا بسرعة، تحيتي للوالدين والإخوان والأخوات جميعا.. الحذاء وصل وشكرا، كنت أحب أن أقترح عليك شيئًا، وهو أن تقضي العيد في البلد؛ فإن ذلك قد يسرّي من قلب والدتي المسكينة، وإن رؤيتها سمية وأحمد لمما يخفف عنها.. والأمر لله ولك.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرسالة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

رحمة الله وبركاته وطيباته لكم في الدنيا والآخرة، أهل بيت كريم مؤسس على التقوى من أول يوم، متجها إلى ربه وخالقه منذ كان غيبا في ضمير أصحابه، ونية صادقة في ضمير أهله وعزائم مؤسسيه، مبتغيا بها رضا الله، ومتق فيه عذابه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا ﴾.

والسلام الزكي الرفراف عليكم يا فاطمتي الحنون الودود، وعلى كل أهلنا وعشيرتنا وإخواننا وأخواتنا، وأخص في هذه المرة ضيفتنا الجديدة الآنسة هناء بارك الله لنا فيها، وجعلها لأبويها شكر القلب وقرة العين، وجمعها الله بحبه على إخوتها سمية وأحمد وأيمن، وأقام الجميع نواة طيبة مباركة لجيل مسلم يؤمن بالكتاب كله ويَرِثه، ويعيش به ويموت عليه.

يا فاطمة إننا في هذه الدعوة رجلان؛ رجل آمن بها لأنه لقيها وأعجب بها ولكنه ما يزال يربطها بأسباب الأرض، ويعلقها على الحوادث والأحداث، وأسباب الأرض تذهب وتجيء، وتقوى وتضعف، وتظهر وتختفي، والحوادث في تقلّب وتداول؛ تسر ساعة وتسيء ساعة، وتبعث الأمل حينا، وتثير القنوط واليأس أحيانا.

هذا الرجل تذبذبُه أكثر من سباته، وقلقه أدوم من اطمئنانه. يرضى مرة ويسخط مرات، إنه مؤشر حيث تتجه أسباب الأرض وحيث تتقلب الأحداث، وهذا يخشى عليه من أن يقترب لا قدر الله من حمى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾، هذا أحد الرجلين.

ورجل آخر سمع بهذه الدعوة فآمن بها في قلبه، وتذوقها بوجدانه، وأقبل عليها بكلّيته، وأعارها سمعه بعدها وحواسه كلها، ثم أعطاها نفسه وولده وماله، ففُتح له الباب ونُودي من قِبل الأحباب، فأقبل وأقبل وأقبل، وأخذ يمشي بها وتمشي به، ثم هرول، ثم سبق حتى وصل بها إلى الله جل جلاله فوجده سبحانه بها أو وجدها به تعالى، وهناك أرجعها إلى الله كما ترجع إليه كل الأمور، وعلم علم اليقين أنها قدر من أقدار الله وأمر من أموره، فاتفق القدران، واتحد الأمران، فصار بها خليفة الله في أرضه، وقامت به دعوة لله في خلقه، وتحقق القول والوعد الأعلى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾.

هذا الرجل بهذا الإيمان وبهذه المعرفة لا يربط دعوته بأسباب الأرض، ولا يعلقها على الحوادث؛ لأنه خليفة وعبد للذي يصنع الأسباب، ويقلب الحوادث عز شأنه، إنه بهذه الخلافة وبهذه العبودية يصنع السبب بإذن ربه وتجري الحوادث على يديه بأمر الذي استخلفه، فإذا جاء السبب جاء بقدر ولحكمة، وإذا امتنع امتنع بقدر وبحكمة، وفي الحالة الأولى شكر وعمل في غير بطر ولا خيلاء، وفي الحالة الثانية تسليم وإنابة ومحاولة متكررة، وبحث دائم في غير يأس ولا قنوط، وهو في كلا الحالين موفور الأجر مجزى الجزاء الأوفى، قائم بالخلافة ومجاهد بالدعوة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

أما نتيجة العمل، إما النصر؛ فذلك أمره إلى الله يأتي به إن شاء متى شاء وأين

شاء وعلى يد من شاء ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾، ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾.

هذا الرجل يظل أبدا ثابت القلب والقدم، مستنير الطريق، مهدي الفطرة، لا تلتوي به السبل، ولا تقف به الظلمات ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾.

إن العمل والصبر هو مطلوب الله منا، أما الأجر والنصر فهو مطلوبنا من الله، والله صادق لا يخلف وعده، كريم يعطي بغير حساب، فليكن همنا بالعمل والصبر، ولن تقف العقبات أمامنا إذا صحت العزائم وخلصت النيات، والعمل ميادينه متعددة وأسبابه كثيرة وفرصه لا تنقطع، ففي النفس عمل، وفي الأهل عمل، وفي الناس عمل، ولن يضل من وضع همه في يد الله واستعان به واهتدى بنوره ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

ونحن نسأل الله بوجهه الكريم وعزه القديم في ضراعة الخائف ولهفة المستغيث أن نكون ذلك الرجل الثاني، والأمل في وجه نير لا ينطفئ، والطمع في رحمته لا يدانيه إلا الخوف من مكره وعذابه.

يا حبيبتي الجميلة أنا لا أدري ما الذي دعاني إلى أن أبعث لك بهذا الحديث في رسالة لم تكن مخصصة له، ولم يكن إلا خاطر طرقني وأنا على وشك الكتابة إليك، لعلها خيرة الله لي فيما يختاره دائما.

كنت أود أن أحدثك طويلا عن الزهرات اليانعة والحديث عنهن يطول ويطيب، يهتز بالشوق ويموج بالحب والحنين إليك وإليهم جميعا، فاسألي الله على أن يعينني على أن يكون ذلك في رسالة قادمة إن شاء الله.

أنا بخير والحمد لله، والأشياء كلها وصلت وهي جميلة ورائعة، فيها ذوقك وجمالك وفيها حبك ووفاؤك يا زينة الوفاء والحب، وكنت أحب أن أريحك من طلباتي الكثيرة بعد أن شعرت أنني أثقلت عليك، وأضفت لأعبائك الكبيرة عبئي، ولكن أسألك في حياء أن تحضري لي كشكولا له سلك ملفوف، وشكرا لك يا زوجتي الوفية.

الزيارة لم تحتسب والموعد كما هو ٢٢ / ٥، وكنت أحب أن أُضمن رسالتي هذه أسفي العميق وألمي الشديد لما لاقيته من المتاعب يومَي العيد أنت وأمك العزيزة في سبيل الزيارة، ولكني أحسبني في غنى عن هذا وأنت سيدة العارفين بزوجك وبقلبه وعاطفته.

لقد حدثت أمك وأمي من السلك عن حبي لها وشكري وتقديري، وأظنها راضية عني، شكرا لكم جميعا وتحية وسلاما. ولعل الأخت فوزية قد أبلت وعوفيت بالشفاء.

الكلمة التالية موجهة لأخينا الأكبر: يا أخي الحبيب أين أنتم وما شأنكم وما الذي تفعلون؟ هل أنتم موجودون وإلى أي مدى؟ أما دار في خلدكم يوما أننا نسأل أنفسنا ـ لأننا لا نجد من نسأله ـ هذه الأسئلة؟ ألم تعالجوا قبل ذلك مشاعر وعاطفة الأخ المسجون وتلهفه على معرفة أخبار دعوته وإخوانه؟

إننا نعرف يقينا أنكم في سجن من السجن الذي نعيش فيه، فليكن.. وهذا أدعى وأوجب أن نعرف أخباركم، كما نحب أن نعرف أخبار السجون الأخرى، لا نريد ولكن نريد فقط أن نعرف أنكم موجودون وسائرون، ولو ببطء أو حتى واقفون ولكن لم تموتوا، نريد أن نعرف حقيقتكم كما هي، فهذا يريح، إننا فرع من شجرة لم يقطع بعد وما يزال يحن إلى جذعه وأصله، اتصلوا بنا بأي شكل وعلى أي شيء حتى لو كان هذا الشيء هو الأمر ألا نتصل بكم.

والله يتولانا وإياكم.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرسالة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأرجو أن تُقبلي ولدينا العزيزين سمية وأحمد.

لقد سُررت بهما كثيرًا خصوصا وأن سمية تعرفت عليّ واطمأنت معي عن ذي قبل، فأحمد الله، أما الولد أحمد فما زال غريبا بعض الشيء، وأرجو أن يُحْيِيه الله حياة طيبة بالعبادة لله والبر لوالديه، وإن كانت صحته في حاجة إلى عناية خاصة.

لونه أصفر وعنقه أرفع من العادي، وهذه حالة توجب فحصه، ويظهر أني شغلت به أكثر من اللازم؛ لأني في ليلة الجمعة رأيتكم وكأني معكم في سفر وقد حل بك الجهد وأنت تحملين سمية وأحمد، فحملت عنك أحمد، وحاولت أن أعطيه نقودا «فكة» فلم أستطع أن أعطيه، ولم يسطع هو أن يأخذ، ووقع قرش تعريفة من القرشين الفكة التي كنت أريد أن أعدها له في يده.

والمهم أني تعلقت به في الرؤيا، ضممته إلى صدري في عطف وحنان وأحطته

بذراعي، ولف هو ذراعيه حول عنقي. نهايته.. في سبيله يهون كل شيء ولعله يقبل ويتقبل.

١ ـ الرجل الذي كُلف بإحضار الأشياء لصلاح كُشف أمره وفُتش بالبوابة وضبط متلبسا بكل ما كان معه، وكان كثيرا جدا إلى حد يزري بتصرفاتنا ويدل على أننا لن نتعظ بكل ما حدث ولم نتقدم خطوة واحدة نحو المران والحكمة، وعليه فالرجل كريم النفس طيب القلب، وله منا جزيل الشكر، ولكن متى ينفع الشكر من قصير اليد، له الله. فنرجو الآتي:

- الاتصال بأم صلاح في حذر وتعريفها بالأمر.
- منتظر مراقبتكم كلكم في مصر القديمة؛ فيجب الاحتياط.

٢ ـ الخطاب الوارد من الواحات ليس موجها لنا، وإنما هو لأحد الإخوان الموجودين بالواحات، فلا ندري كيف سمحتم لأنفسكم بإطلاعنا عليه، نرجو أن يكون ذلك بإذن أصحابه وهو مرسل لكم لرده لهم، وقد عرفنا محتوياته ولم نفطن أنه ليس موجها لنا إلا بعد الانتهاء من قراءته.

٣ ـ وخطاب آخر موقّع عليه من أحد الإخوان هنا، فلعله جاء خطأ ولم نستطع إرساله الآن لضخامة «الشيلة».

تحيتي لكم جميعا.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرسالة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنما هي لذة المناجاة التي لا توصف وحبال النداء الذي لا يكيف، فإذا أحسوا هذه اللذة فلا يبقى لهم لذات أخرى يتشوقون إليها، وإذا شاهدوا هذا الجمال فسيغمرهم نوره وبهاؤه فلا تبقى لهم أوهام يتوهمون بها جمالا سواه.

أيتها الحبيبة.. زوجتي وأعز الناس عليَّ، هذا ما أرجوه لي ولك، والله يؤتي فضله من يشاء وهو ذو الفضل العظيم، اصبري واحتسبي وكافحي، واقرئي القرآن واعبدي ربك؛ فالعاقبة دائما للمتقين، وسلام عليك.

يوجد معنا هنا الأخ إمام سيد إمام من «بين السرايات»، له أخت أنت تعرفينها اسمها الآنسة هانم السيد إمام البكري، وهي التي كانت تقوم بالتدريس في مدرسة «بين

السرايات» التي كان يشرف عليها الإخوان، وهي الآن تعمل بشركة أدوية بباب اللوق ، والمهم هذه الأخت خُطبت أخيرا وتجري الآن إجراءات خطوبتها لأحد أقاربها، وقد بلغ أخاها هنا أن هناك خلافا في الرأي بين والدته ووالده حول هذه الخطوبة، فالوالد موافق بينما لا توافق الأم، وهو يخشى أن يكون هناك ما يبرر عدم موافقة أمه، ويخشى أن تكون أخته كذلك غير موافقة؛ نظرا لأن رأي الأم يكون موافقا في الغالب لرأي ابنتها.

والمرجو منك الآن أن تقابلي هذه الأخت على انفراد وتعرفي رأيها، ثم تقابلي بعد ذلك والدتها لمعرفة الأسباب التي تدعوها إلى عدم الموافقة، وبعد ذلك تقومين بتقديم النصيحة الواجبة على المؤمنين، وقد يكون من المفيد أن للأخ هنا رأيًا وهو أن الخطيب محدود الدخل لدرجة لا تكفي لإعاشة أخته في مستوى يليق بها، وقد يدعو هذا إلى أن تستمر أخته في عملها بعد الزواج، وهذا ما يعارضه بشدة ولا يوافق عليه إطلاقا «زي حلاتي كده»، وهو يحب لأخته أن تجد زوجا كريما يحفظها من «البهدلة» في الطرقات ويوفر لها الاستقرار في بيتها كريمة عزيزة.

نرجو دراسة هذا الأمر دراسة دقيقة ومعرفة كل الظروف المحيطة به، وإبلاغ رغبة الأخ لأخته، وتقديم النصيحة لها بما ترين أنه الحق والخير، ثم إفادتنا في خطاب مغلق مع زيارة الأخ محمد جاد مصر القديمة «أم مجدي» الأسبوع القادم إن شاء الله، مع توصيتها بالاحتراس وهي تسلم الخطاب لزوجها، فلا تسلمه إلا بعد الاطمئنان من غفلة الحراس.

نسيت في الزيارة أن أوصيك بدراسة حالة كمال السنانيري وأنور عداد من مصر القديمة، وشخص آخر اسمه مصطفى ستخبرك به أخت عبد الرحيم. (انظري الخلف) ماذا تم في موضوع ابنة عبد القادر الوراد التي قلت لك عنها إنها ضعيفة في مادة الإنجليزي؟

أرجو عمل اللازم في حدود الممكن وبمقدار ما تسمح به ظروفكم.. ولك الشكر.

ملحق (٢)

رسائل يوسف هواش من سجن طرة وفيها شهادته على المجزرة

يحسُن ألا ننسى علاقة المؤامرة الغادرة بالنشاط الشيوعي، فالذي حدث قبل أول خيط من خيوطها أن الإخوان ضبطوا كراسات ومنشورات شيوعية يوزعها الشيوعيون المحكوم عليهم، والذين وضعوا في عنبر الإخوان ليكونوا عيونا عليهم، وسلموا المضبوطات إلى مدير «الليمان».

وفيها دعوة سافرة إلى الشيوعية، كما أنهم كانوا يقومون بالدعاية الشفوية إلى الإلحاد، ويضحكون على السذج من النزلاء لنفي فكرة وجود إله لهذا الكون.

مثل أن يعرضوا عليهم مشاهدات تناسب سذاجتهم كأن يقولوا لهم: خذ قطعة جبن عفنة واتركها أيامًا يخرج منها دود، والبيضة تخرج الكتكوت، فهذه هي الحياة تظهر بدون حاجة لوجود إله.. وهكذا.

وكان الرد على ضبط الكراسات والمنشورات الشيوعية هو منع الإخوان من إقامة الصلاة والاختلاط بالنزلاء لما رأوه من انتشار الصلاة ويقظة العقيدة، ومعنى هذا هو الوقوف في وجه الدعوة الشيوعية التي تمهد لها الإدارة (إدارة السجن) بمعرفة الدولة طبعًا!! يمثلها في هذا الضابط «عبد العال سلومة» رجل المباحث العامة.

فيحسُن أن يكون هذا معروفًا جيدًا، وفيه التعليل الكافي للمؤامرة الغادرة.

- هناك خيط آخر.. هو أن الضابط «عبد الله ماهر» الذي تولى أكبر دور في

المؤامرة، على اتصال باليهود المسجونين، وعلى علاقة ببيوتهم، وتأتي له سيارة اليهود ليركبها، وما يزال يواصل التآمر بالاتصال ببعض النزلاء ليشهدوا بأن الإخوان كلفوهم باستحضار بارود لصنع قنابل، وقد رفض النزلاء بشدة الاشتراك في المؤامرة وفي حماسه لذلك، وإن كان قليل منهم ربما يخضع للإغراء... ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾.

• والمهم هو معرفة هذا الخيط كذلك.

الإخوان الجرحى يحاطون برقابة دائمة للتفتيش عليهم، ولكن الله تعالى يجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ويذلل لهم كل صعب، وروحهم عجيبة جدًّا، منهم من يأمل فيرجو الله أن تكتب له الشهادة فيوصي بدفنه مع أخ من إخوانه الشهداء (مثل الجريح صلاح الذي يوصي أن يدفن مع أخيه محمد)، وقد شفي، وقد يرحل، ومنهم من يكتب قصائد

وهم يحاولون تجويعنا، حتى المرضى منا، وذلك بمنع «الكانتين» عن الإخوان حتى لا يشتروا موادًا غذائية كبقية النزلاء، ويقتصروا على طعام السجن الرديء القذر القليل، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لن يجيعنا، فهو يطعمنا ويسقينا من فضله، ومن حُب الخلق ورضاهم وتطوعهم.

إنما يحسُن أن يعرف كيف يدبرون ويمكرون، هؤلاء الذين يستنكرون اعتقال بعض الناس في الأردن مثلًا أو تحديد إقامتهم.

• ربما يرحل عشرة من الجرحى تماثلوا للشفاء، وقد يتأخرون لظهور حالة تيفويد في واحد منهم وهو يأخذ علاجه كاملًا والحمد لله، لأن الأطباء يقومون بواجبهم في وسط النار، وهذا من فضل الله.

• إنهم يشنعون بالفرنسيين المستعمرين في الجزائر لأنهم عذبوا بعض الأفراد مدة سبع وخمسين ساعة، فيحسن أن تثار ذكريات تعذيب خمسة آلاف في السجن الحربي لمدة عام ونصف، وبأقسى الوسائل التي يذكرونها عن التعذيب في الجزائر للمقارنة بين الاستعمارين.

وهم يندِدون باعتقال المدعي العام الأردني، وتحديد إقامة اللواء «المعايطة»، فيحسُن أن تثار قصة المذبحة الغادرة، وقتل الإخوان العزل وهم في السجن وداخل الزنازين، وبوحشية لم يعرفها التاريخ.

ويحسُن التفصيل.. والإعادة.. والتكرار، في ذكريات المجازر الرهيبة القديمة والجديدة، وآخرها قتل الجرحى! ثم عزف الموسيقى في الطوابير المنتصرة، «الطوابير» التي جرت كالأرانب في صحراء سيناء، وفي قطاع غزة، ثم تظهر بطولتها مع العزل داخل الزنازين! كذلك عمليات التعذيب والتجويع للمرضى والجرحى.

• بلغتنا أخبار غير متيقنة عن الذين رحلوا، فقد تلقّاهم صفان من الحراس، من باب السجن إلى باب الزنزانة وفتشوهم عرايا، ونهبوا كل ما كان معهم، ومن يوم وصولهم لم يخرجوا من الزنازين إلا إلى دورة المياه، وقد وقعت عليهم بعض العقوبات التهديدية أثناء الدخول، ولكن بعد ذلك هدأ كل شيء، ولعل الحالة تتحسن، وممنوع عليهم شراء شيء من الكانتين.

* * *

هذه المذبحة الوحشية التي دبرها الفجار لقتل الإخوان، إذ شاء الله تعالى أن تظهر فيها بطولات فئة تبشر وتطمئن على الرغم من فداحة التضحية وجسامتها.

وقد سبقت المذبحة الوحشية الغادرة هذه المقدمات:

١ ـ إنه في يوم الأربعاء ٢٢/ ٥ مُنعت صلاة العصر بصورة غاية في الاستفزاز.

٢ ـ وفي يوم الخميس ٢٣/ ٥ مُنع لعب الكرة الذي كان مرخصًا به، وبنفس الطريقة.

٣ ـ وفي يوم الجمعة ٢٤/ ٥ ظلت الزنازين مغلقة على الإخوان حتى صلاة الجمعة تقريبًا.

٤ ـ وفي يوم السبت ٢٥/ ٥ حدثت مشادة بين الضابط عبد العال سلومة وثلاثة من الإخوان بغير داع سوى خطة الاستفزاز المدبرة.

٥ ـ وفي يوم الأحد ٢٦/ ٥ قال هذا الضابط نفسه مهددًا بتصريحات عجيبة: «فيه أوامر عليا بجر الإخوان لمعركة نخلص فيها على ثلاثين، أربعين...». وكرر مثل هذه التصريحات بصورة استفزازية مثيرة ولأكثر من أخ من الإخوان.

٦ ـ وفي يوم الاثنين ٢٧/ ٥ قال هذا الضابط نفسه، وهو ضابط العنبر: «إن آخر التعليمات التي عنده أن الأخ الذي يضبط ببدلة بيضاء نمده على رجليه ونأخذ البدلة».

٧ ـ وفي خلال هذا الأسبوع كان هناك ضابط آخر (عبد الله ماهر) يحتك بالإخوان بغير مناسبة، ويحاول استفزازهم بأي طريقة، وهذا الضابط على اتصال وثيق باليهود المسجونين بنفس عنبر الإخوان، وهو يحمل إليهم الطعام الخاص الآتي من منازلهم بيده، ويقال إن له علاقة بأخت أحدهم، وهو الذي اصطدم بأهالي الإخوان في الزيارة وأودعهم نقطة طرة ثم المعادي، واصطدم بالإخوان، وأودع ثلاثة عشر منهم في التأديب بالحديد من الخلف مدعيًا أنهم أهانوه، وذلك بعد تصريحات علنية له بأنه سوف يحرق الإخوان حرقا.

٨ ـ وفي يوم ٢٩ / ٥ شرح الإخوان للمدير هذه الاستفزازات، فوعدهم خيرًا.

٩ ـ وفي يوم الخميس ٣٠/ ٥ مُنعت الزيارات الخاصة بالإخوان بدون مبرر.

١٠ ـ وفي يوم الجمعة ٣١/ ٥ حدث مثل ما حدث يوم الجمعة الذي قبله، أغلقت الزنازين حتى الصلاة.

ثم كان يوم السبت ١ / ٦ الذي وقعت فيه المذبحة الغادرة بعد كل الترتيبات المقصودة، وهذا تفصيل ما حدث:

رأى الإخوان أن يتخلصوا من هذه الحالة التي لا تراعي فيها الإدارة أي قانون من قوانين السجون، فكتبوا طلبا للإدارة لطلب النيابة للتحقيق فيما يجري معهم وقالوا فيه:

إنهم أودعوا هذا المكان في ظروف استثنائية، وذلك باعتراف خصمهم في مجلس الثورة الذي أصدر في آخر جلساته قرارا بشأن تلافي كل ما حدث في تلك الظروف الاستثنائية، وذلك في وقت قريب، وفوَّض رئيس الجمهورية في ذلك، حتى لا يتأخر الأمر أربعة أشهر، كما كان مفروضًا وقتها أن تجرى الانتخابات.

وحددوا ما يطلبون في: اعتبارهم مسجونين سياسيين على أكثر تقدير، وذكروا الاستفزازات المستمرة، وتساءلوا: لحساب من هذا؟! وطالبوا بحضور النيابة، وهو حق طبيعي لكل مسجون، وفي انتظار ذلك قرروا: رفض العمل بالجبل كأول مظهر لاعتبارهم مساجين سياسيين.

وسلمت الشكوى بهذا المعنى لكاتب العنبر، لتأخذ خط سيرها الروتيني الهادئ كما يقع من النزلاء العاديين.

وانتظر الإخوان داخل الزنازين.

وبعد حوالي ثلث ساعة طلبت الإدارة أربعة منهم هم: الحاج أحمد السيسي، وحسن دوح، وعبد الحميد خطاب، والحاج عبد الرازق أمان الدين، وأودعوهم التأديب.

وبعد نصف ساعة أخرى جاء الضابط محمد صبحي، والملازمان عبد العال سلومة، ويونس مرعي، وأخذوا في إخراج الإخوان بالقوة، بحجة مقابلة المدير، ونزل الإخوان ليعودوا مسرعين لأنهم وجدوا قوات من الكتيبة مزودة بـ«الشوم».

وأسرع المدير بالحضور، وطلب الاجتماع بالإخوان، فوقفوا على سور الدور الذي يسكنون فيه، ووقف المدير في (١) وشرحوا له وجهة نظرهم في أدب كامل.

وبعد ساعة جاء المدير مصرا على أن يدخل الإخوان الزنازين بعد أن كان طلبه الأول هو خروجهم إلى الجبل.

وكان واضحا للإخوان أنها خديعة، ليتمكن من أخذهم زنزانة، زنزانة، وهم منفردون، فطالبوا المدير بحضور النيابة لضمان عدم الاعتداء عليهم، وهم بعد ذلك لا يمانعون في الدخول.

وانصرف المدير، وبقي المأمور الأول وبعض الضباط «للتفاهم» مع الإخوان، وطال الجدل، والإخوان يلحون في طلب النيابة.

ثم أخذ الشر يفصح في عيون الضباط وكلماتهم، فرأى الإخوان من باب الاحتياط أن يعلنوا الخطة السلمية الكاملة، فأعلنوا أنهم مضربون عن الطعام، وكتبوا هذا تحريرا، وسلموه بالطريق الرسمي.

* * *

وهنا رأى المتآمرون أن حجتهم ستسقط، وهي أن الإخوان في حالة هياج وتمرد لأن الإضراب عن الطعام وسيلة سلمية، وليست تمردا ولا هياجا، وعندئذ ثارت ثائرة المتآمرين.

وفجأة.. اقتحمت العنبر قوات ضخمة من جنود الكتيبة والسجانة، وعلى رأسها مدير السجن، والبكباشي زغلول شلبي، والضابط عبد اللطيف رشدي وأحمد زكي وعبد القادر جمعة، وكان مائة منهم يحملون «الشوم» ومثلهم بالبنادق والمدافع الرشاشة.

وتوزعت القوى المسلحة على دور (١)، (٣)، (٤)، واتجهت قوة «الشوم» كلها إلى دور (٣) حيث الإخوان في حماية الرصاص من أعلى دور (٤) ومن أسفل دور (١)، وابتدأ الهجوم من جميع الجهات، وقد أصيب في اللحظات الأولى عدد كبير من الإخوان بالرصاص، وكان من الانتحار أن يظلوا خارج الزنازين، فدخلوا.

وهنا.. وقعت أحداث عجيبة تشهد كيف يخلق الإيمان بطولات لا تكاد تصدق، بطولات الصحابة الأوائل، رضوان الله عليهم، فقد أرادت قوة «الشوم» اقتحام الطرقات لقتل الإخوان داخل الزنازين، ورغم حماية الرصاص للقوة، فقد اصطدم بها الإخوان المدافعون عن أنفسهم بأيديهم، فاضطرت للانسحاب أمام صلابة الإرادة، والبطولة الخارقة.

وفي الوقت ذاته كان الرصاص يدوي ويتساقط القتلى من الإخوان، وقوة «الشوم» تحاول الكر عليهم كلما اشتد إطلاق الرصاص.

وكان الأخ يتلقى عن إخوانه! يحميهم بجسمه حتى يسقط قتيلًا أو جريحًا.. فمثلًا يقفز الشهيد أحمد حامد قرقر، والشهيد عثمان عيد، وينام كل منهما فوق إخوانه ليكون لهم فداء، ويقوم الشهيد أحمد حامد ليضرب بيديه المجردتين في وجوه المهاجمين فيرتدوا، ويتقدم الشهيد مصطفى حامد، وهو مصاب يترنح ليضع على إخوانه ألواح خشب كانت رفًّا للكتب، ليقيهم من «الشوم».

ثم تنسحب قوة «الشوم» مهزومة، وتترك مكانها لحملة المدافع فتضرب الأبواب المغلقة من الداخل حتى يثقبها الرصاص، وتصيب الإخوان، ثم يصعد الأنذال ليضربوا كل الإخوان من الشراعات.. ويتساقط الشهداء والجرحى تحت أزيز الرصاص، وهم يضربون أروع أمثلة الشجاعة العزلاء والفداء.

هذه هي المذبحة مصغرة تشهد بالغدر والتدبير، كما تشهد بالبطولة للشهداء. فأما

بعد المذبحة.. فإن الأنذال كانوا يترصدون للجرحى وهم محمولون على نقالات الإسعاف ليقضوا عليهم بالشوم، وهو ما لا يقع في الحروب.

ثم يجيء صلاح دسوقي (أركان حرب الداخلية) ليقول للمدير (مدير السجن) أمام وكيل النيابة المحقق:

ـ أنا كنت عاوزهم يموتوا كلهم.

ولما استنكر وكيل النيابة قوله، قال له:

ـ يا أستاذ أنت تكمل تحقيقك بس، وفي الآخر حايجيلي، وأشوفه!

والآن...

عمليات التضييق الخانقة تحيط بالإخوان من كل جانب، وقد سلب الجرحى أحذيتهم وملابسهم الداخلية...

أما الذين رحلوا إلى سجن «القناطر الخيرية» فقد عُذبوا ثلاثة أيام، وذلك غير سرقة ونهب متاعهم ونقودهم وأدواتهم وكتبهم وملابسهم. وقد طاف الجنود الأنذال حول «الليمان» بعد المعركة بالموسيقى كل صباح.

أسماء الجرحى:

١ ـ إبراهيم عرفة.
٢ ـ رضوان محمد أحمد.
٣ ـ صلاح الأنور.
٤ ـ حسن صالح.
٥ ـ أحمد عبد العزيز.
٦ ـ مصطفى علي.
٧ ـ إسماعيل عيد.
٨ ـ محمد عبد الحميد البلتاجي.
٩ ـ محيي عطية.

١٠ ـ الحسيني يونس.
١١ ـ مجد الدين زهدي.
١٢ ـ عبد الحكيم شحاتة.
١٣ ـ عبد الرحمن الفيومي.
١٤ ـ عبد العظيم دوح.
١٥ ـ فكري حسين كريم.
١٦ ـ هاشم محمد متولي.
١٧ ـ حسن علي حسن.
١٨ ـ مصطفى عارف.
١٩ ـ أحمد رمزي حسين.
٢٠ ـ صابر سالم.
٢١ ـ عباس فتح الله ـ شُفي ورحل.
٢٢ ـ سيد عبد الحليم ـ شُفي ورحل.

* * *

هذه هي خطوات المأساة الوحشية التي ارتكبت في طرة يوم ١ من يونيو سنة ١٩٥٧ في العنبر الخاص بالإخوان:

١ ـ في يوم الأربعاء ٢٢ من مايو سنة ١٩٥٧ مُنع الإخوان من صلاة الجماعة في فناء عنبرهم حيث كان يصلي معهم عشرات من معتادي الإجرام الذين فشل فيهم كل إصلاح، فأصلح الله تعالى حالهم على أيدي الإخوان. وكان منع الصلاة بصورة استفزازية واضحة إذ حضرت مجموعة من الضباط في وقت صلاة العصر وفضوا الصلاة بالقوة، وفي شكل مقصود به الإهانة والاستفزاز.

٢ ـ واختار الإخوان خطة مسالمة وتركوا الصلاة المشتركة واكتفوا بصلاة الجماعة بينهم في الدور الخاص بهم من العنبر، ولكن هذه الصلاة منعت كذلك، فسالموا مرة أخرى واكتفوا بصلاة الجماعة داخل الزنازين، فمنعت أيضًا بفظاظة.

٣ ـ حدث بعد ذلك في زيارة إخوان شبرا أن جاء ضابط واحتك بالأهالي الزائرين من الرجال، وشتم السيدات شتيمة قذرة (شـ) فردوه وأوقفوه عند حده، فاستدار من الداخل وشتم الإخوان بحجة أن الأهالي يعطونهم طعاما، ولم يقبل ما عرضه الإخوان من إرجاء الكلام إلى ما بعد الزيارة لأن الهدف هو الاستفزاز. وعندما قال له أخ: إن هؤلاء اللائي شتمتهن لسن «شـ» ولكنهن أشرف من في البلد. اعتبر ذلك إهانة، فادعى أن الإخوان تهجموا عليه، وعندئذ وضعت الأصفاد في أيدي بعضهم، ووضعوا في التأديب.

٤ ـ بعد هذا رغب الإخوان في المسالمة لذلك، فذهب اثنان منهم لمقابلة المدير وأبلغاه خبر هذه الاستفزازات، وطلبا تفسيرا لها، وأنهم راغبون في التفاهم مع الإدارة، وقالوا:

نحن لسنا خصومًا لإدارة السجن، وهي ليست خصمًا لنا، ونحن نعتبر أن الإدارة تريد فقط تنفيذ الأوامر، وأنها ليست هي التي جاءت بنا إلى هنا، ومن أجل هذا نحب أن تيسر الأمور، فوعدهم خيرا بوضع حد لما يشكون منه.

٥ ـ وكان التنفيذ العملي لهذا الوعد، هو ذهاب أحد الضباط في صباح اليوم التالي ومعه قوة من مائة سجان بالعصي الغليظة للتفتيش.

ولكن حدث أن كان شاويش العنبر قد فتح الزنازين كلها للإخوان، وكانت خطة الضابط هي أن يستفرد بهم زنزانة، زنزانة، فرأى أن غرضه قد فات عليه، فشتم الشاويش، ورجع في انتظار تحقيق هدفه، والاشتباك بالإخوان في فرصة أحسن، واستمر الاستفزاز.

٦ ـ وفي هذه الأثناء فلتت كلمات من بعض الضباط إذ قالوا لبعض الإخوان «إحنا حندبر لكم حركة ندفعكم إليها دفعا، علشان نقتل أكبر عدد منكم».

٧ ـ أرسلت برقية للنيابة للشكوى من سوء معاملة الإدارة والخوف من اصطدام مدبر وطلب حضور النيابة سريعا للتحقيق، وكان هذا يوم الخميس ٣٠ مايو.

٨ ـ الجمعة لم تحضر النيابة، واستمر الإخوان في دورهم الخاص بالعنبر لحضور

النيابة، لأنهم كانوا يتوقعون تدبير الاحتكاك بهم وهم في الجبل، وهي الحالة التي تستدعي إطلاق النار عليهم بحجة الفرار، لأن النار لا تطلق على النزلاء وهم داخل العنابر فاختاروا البقاء في العنبر، وانتظار التحقيق، وطلب معاملتهم بصفتهم سجناء سياسيين، وكانت كل تصرفاتهم قائمة على أساس تجنب الاصطدام وانتظار تدخل النيابة.

٩ ـ ظلت الحالة هادئة تماما من ناحية إدارة السجن، ومن ناحية الإخوان أنفسهم، فلم يقع أي احتكاك. وكانوا في هذه الفترة يدبرون خطة الجريمة؛ المذبحة، فجمعوا النزلاء من أنحاء «الليمان» وأدخلوهم الزنازين حتى لا يصاب أحد إلا أولئك الذين يراد تذبيحهم .

١٠ ـ وكانت الحركة التالية هي حضور جنود الكتيبة بمدافعهم الرشاشة والبدء بإطلاق النار حيث لم يكن مع الإخوان شيء يدافعون به عن أنفسهم، فدخلوا الزنازين، وكانوا لم يدخلوها من قبل حتى لا يستفردوا بهم ثلاثة ثلاثة، ويقتلوهم.

وكان الأمر يمكن إنهاؤه عند هذا الحد، لو كان الغرض هو إنهاء الموقف، ولكن الجنود دخلوا عليهم الزنازين، وضربوهم بالرصاص في رءوسهم، وفي بطونهم، ولم يضرب أحد في ظهره، لأن الإخوان العزل أخذوا يهاجمون بأيديهم حاملي الرشاشات الذين دخلوا عليهم الزنازين.

وانتهت المعركة بقتل ستة عشر (١٦) شهيدا، وجرح ثمانية وعشرين (٢٨)، جروحا بعضها خطير.

وعند نقل الجرحى للإسعاف كانوا يضربونهم وهم محمولون على النقالات ليقضوا عليهم، مما يدل على نية القتل العمد، فبلغ عدد الشهداء «٢١» شهيدا.

١١ ـ بعد ذلك صب الأنذال الماء فوق الشهداء، وأدخلوا الإخوان الأحياء ليناموا فوق الدماء، وقد نزعوا ملابسهم كلها، وألبسوهم بدلة السجن على اللحم، وسرقوا ملابسهم الخاصة وأطعمتهم، وأدويتهم كذلك وكل ما لهم، وحطموا الباقي.

١٢ ـ وفي الليل جعلوا يخرجونهم في الظلام عشرة عشرة، ويطلبون منهم أن يهتفوا بحياة «جمال عبد الناصر»، ولما امتنعوا، فلم يهتف منهم أحد، كان جزاؤهم الضرب، وهم في طريقهم إلى دورة المياه.

١٣ ـ في ليلة ٥ يونيو رُحِّل الإخوان إلى سجن القناطر.

١٤ ـ طلبت إدارة السجن ترحيل الجرحى من الإخوان إلى المصحة في الليلة الثانية، ولكن القسم الصحي لم يرد على هذا الطلب، ولا ندري متى يتم هذا.

١٥ ـ ورغم هذا فإن الروح المعنوية للإخوان عالية جدا، وقد ارتفعت والحمد لله إلى مستوى القمة بشكل عجيب جدا، وكانت ضخامة التضحية مما يعلق قلوبهم بالله وحده، فلا يهمهم ماذا ينوي الجلادون أن يفعلوا بهم، ولكن يهمهم أن تعلموا أنتم وتطمئنوا إلى أنهم لم يكونوا متهورين ولا معتدين ولا جبناء، وأنهم احتملوا الاستفزاز واستمروا.. وآثروا المسالمة، ولكن المكر السيئ كان يدبر لهم.

١٦ ـ التحقيق الذي تجريه النيابة يبدو إلى الآن أنه طبيعي، أثبت أن الرصاص قد خرق أبواب الزنازين، وهذا يدل على أن القتل قد حدث داخل الزنازين، رغم إخراجهم الجثث منها للتمويه، وأن الحادثة قد حدثت خارجها، وقد جاءت الإدارة بقطع حديد وأخشاب، وقالت إن الإخوان قد استعملوها وهذا كذب طبعا، فلو كان أي سلاح بأيدي الإخوان لتغير وجه الاعتداء.

١٧ ـ وقد أشاعوا أنها كانت تمردا بالليمان وهو غير صحيح كذلك، لأن النزلاء دخلوا زنازينهم للمحافظة على حياتهم، فلم يكن هناك هياج.. ولكن كانت هناك مذبحة.

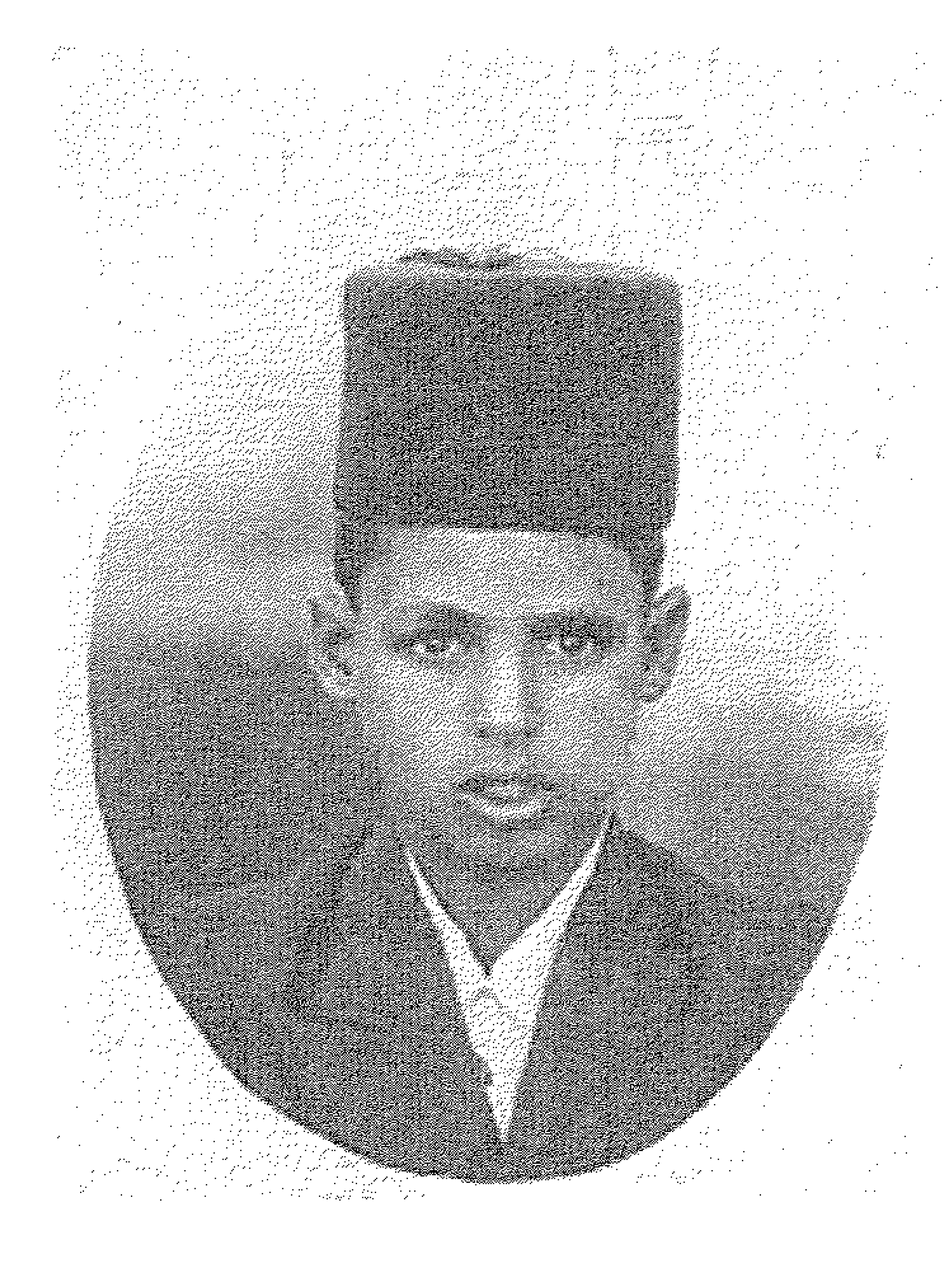
الجرحى:

١ ـ عبد العظيم دوح.

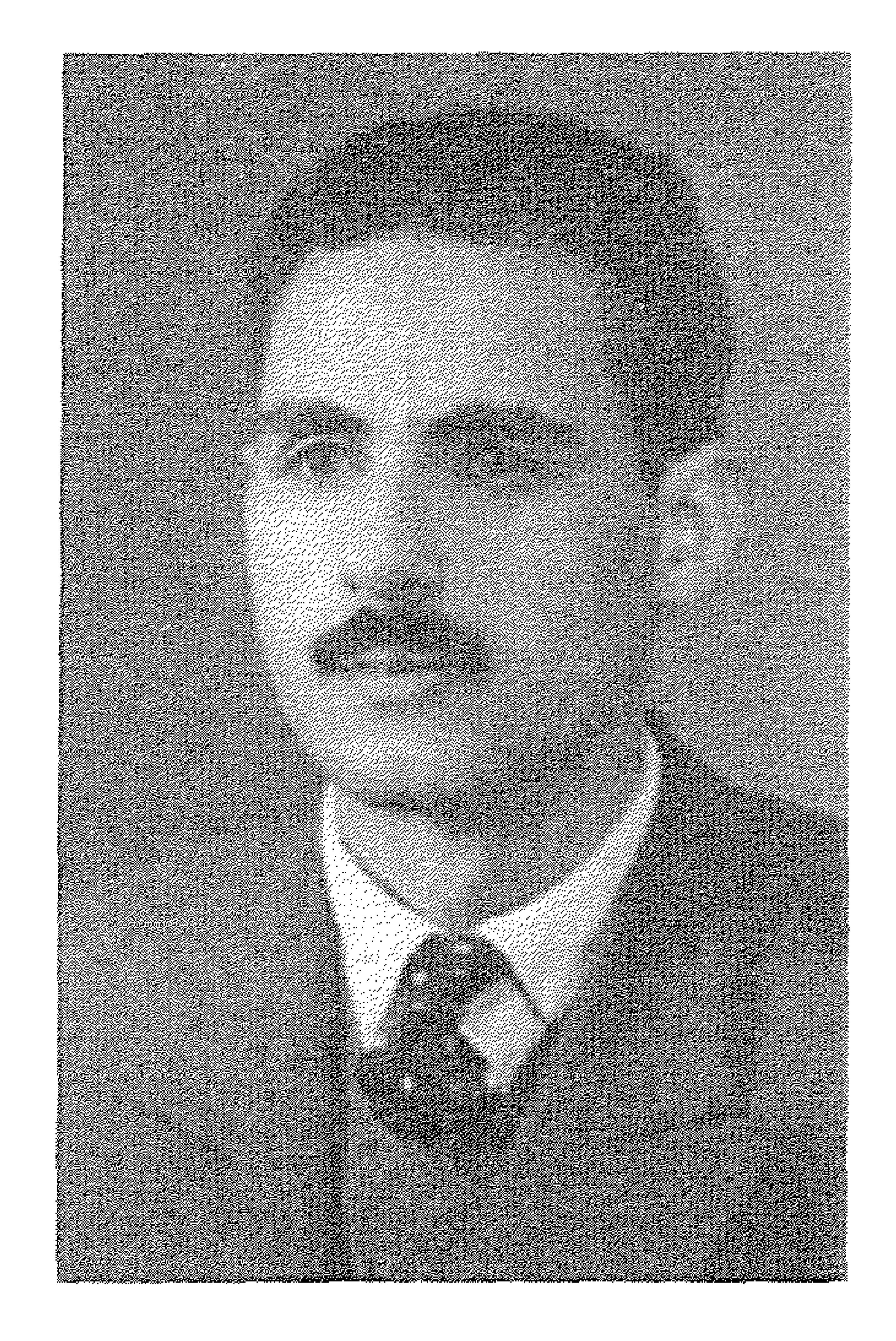
٢ ـ إبراهيم عرفة.

٣ ـ أحمد رمزي.
٤ ـ مجد الدين زهدي.
٥ ـ أحمد عبد العزيز.
٦ ـ محيي الدين عطية.
٧ ـ مصطفى المصيلحي.
٨ ـ الحسيني سلطان يونس.
٩ ـ عبد الرحمن الفيومي.
١٠ ـ مصطفى مصطفى علي.
١١ ـ صلاح عبد الخالق الأنور.
١٢ ـ محمد عبد الحميد البلتاجي.
١٣ ـ فكري حسين.
١٤ ـ هاشم متولي.
١٥ ـ مصطفى سعد.
١٦ ـ عباس فتح الله.

ملحق الصور



محمد يوسف هواش وهو طالب



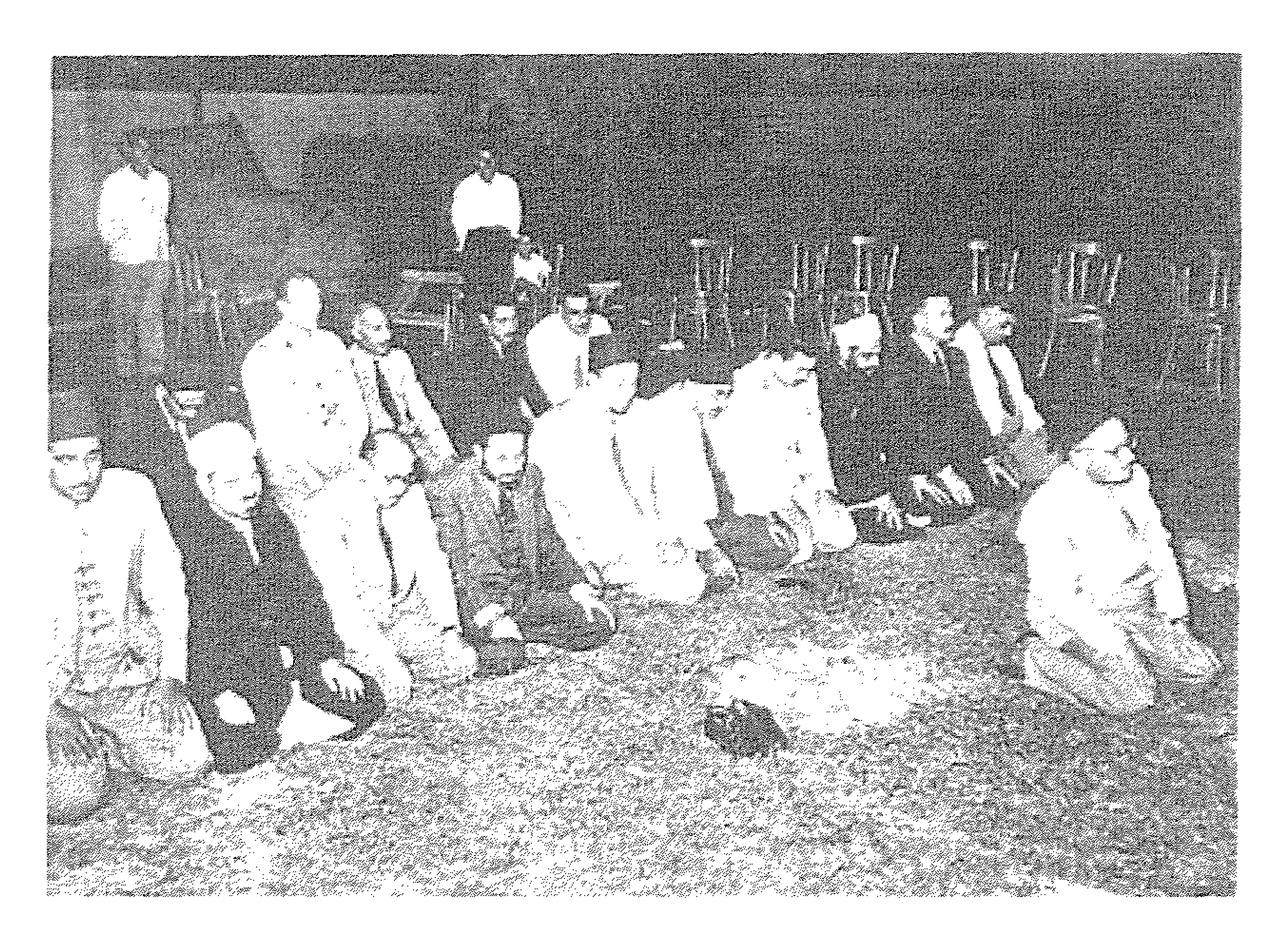
محمد يوسف هواش وهو موظف



جمال عبد الناصر يتوسط محمد فرغلي وحامد أبو النصر



سيد قطب.. ويُرى في الصورة د. مصطفى السباعي وفهيم أبو عبية وفؤاد المسلماني



المستشار حسن الهضيبي وهو يؤم صلاة مشتركة بين قيادات الإخوان وضباط الثورة، ويظهر في الصف الثاني جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر



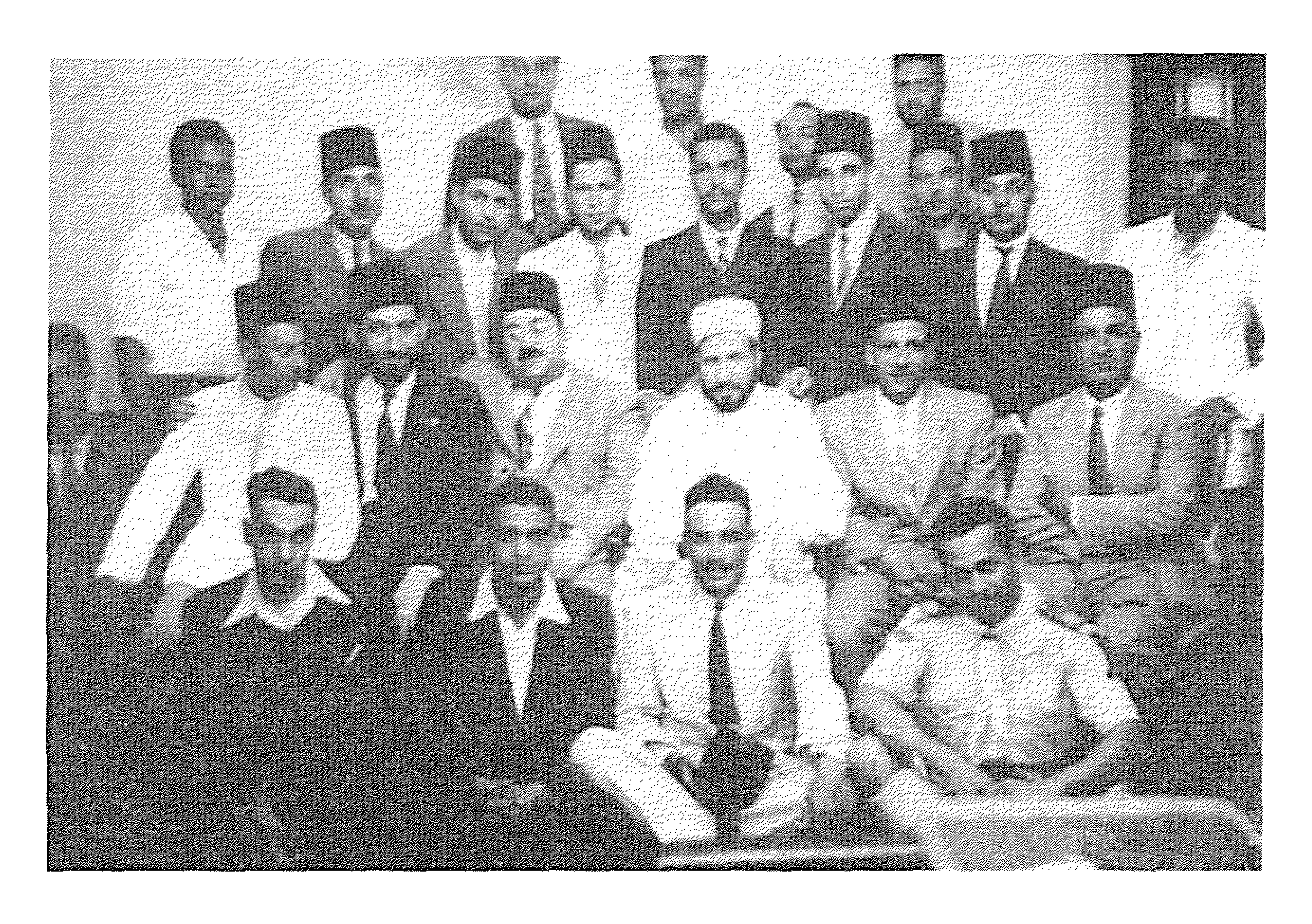
صورة مشتركة بين قيادات الإخوان وقيادات الثورة ويظهر في منتصفها حسن الهضيبي بجوار جمال عبد الناصر



لقاء على الغداء بين قيادات الثورة وقيادات الإخوان ويظهر حسن الهضيبي بين جمال عبد الناصر وحامد أبو النصر



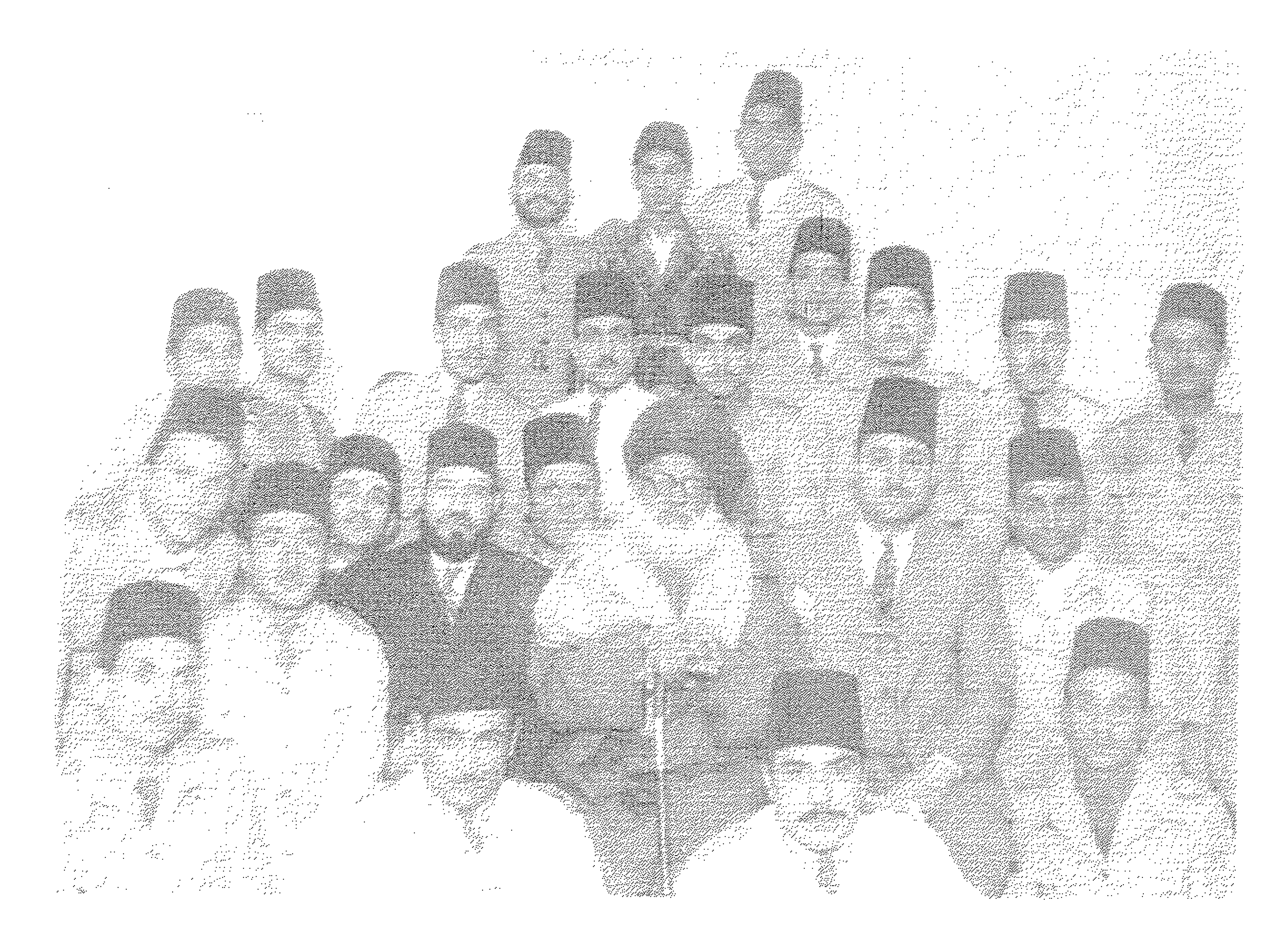
عبد الحكيم عامر مع الشيخ محمد فرغلي



الشيخ حسن البنا بلباس تقليدي مع بعض شباب الإخوان



الشيخ حسن البنا يتوسط جمعًا من الإخوان



حسن البنا في صورة قديمة



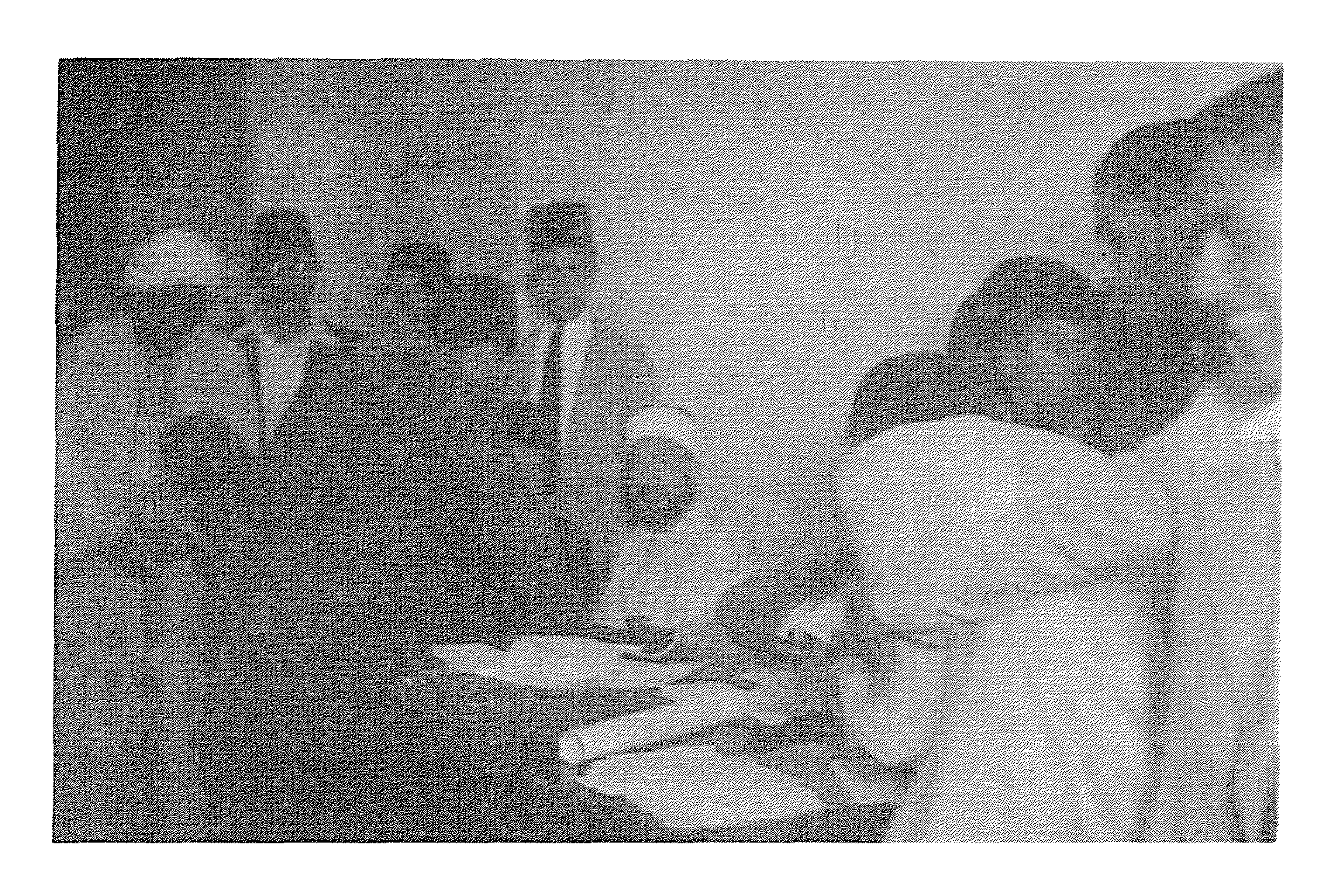
صلاح سالم وعبد الحكيم عامر وعبد العزيز عطية وعمر التلمساني



الجالسون من اليمين: الأستاذ عمر التلمساني، الدكتور محمد خميس حميدة، الشهيد عبد القادر عودة، ويظهر خلفهم الأستاذ حسن الهضيبي



خميس حميدة وعبد الحكيم عابدين وكمال الدين حسين وعبد الرحمن البنا وصلاح سالم



الشيخ حسن البنا بلباس تقليدي مع الإخوان في أحد مقار الجماعة



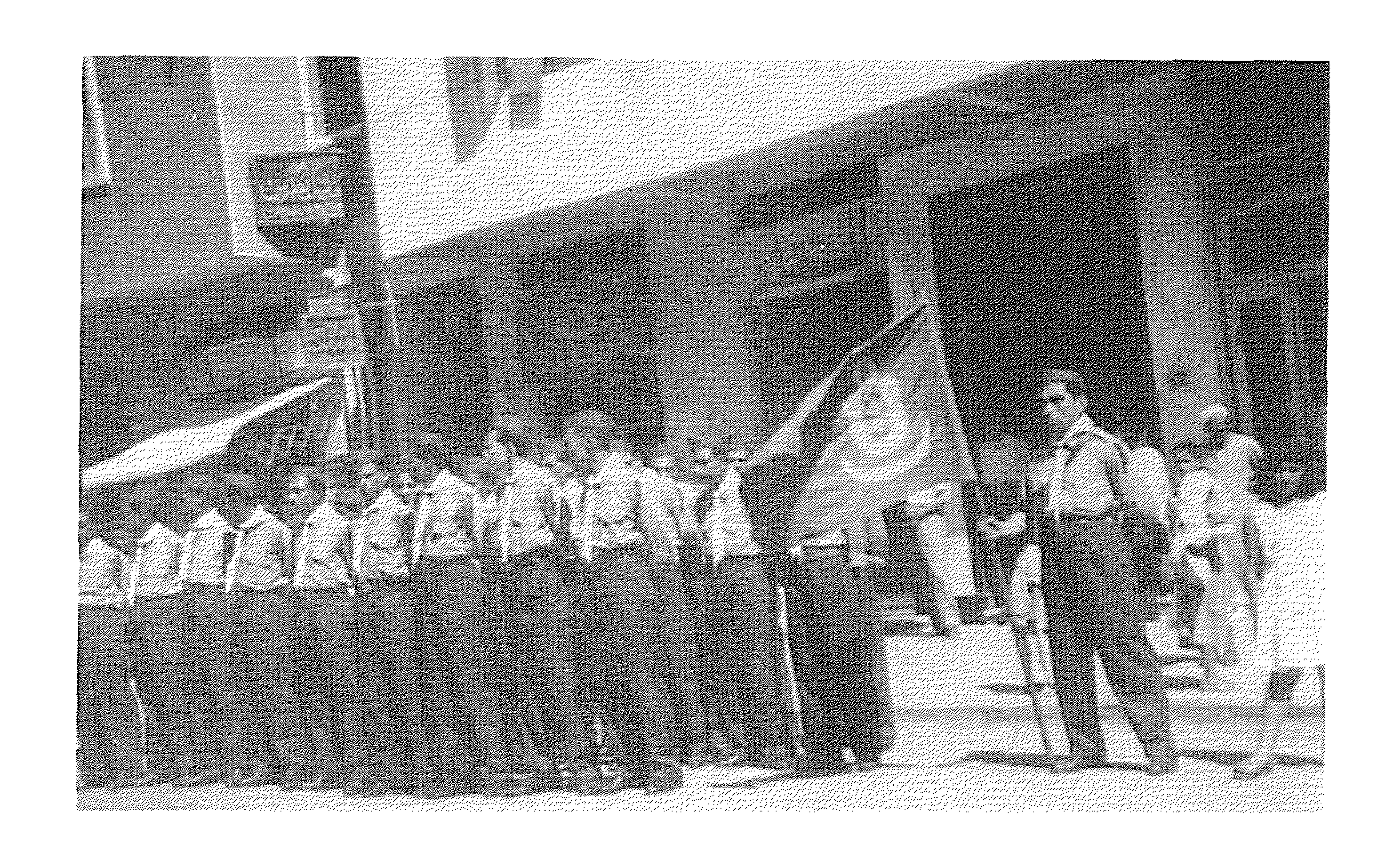
الشيخ حسن البنا مع أنصاره من شباب الإخوان



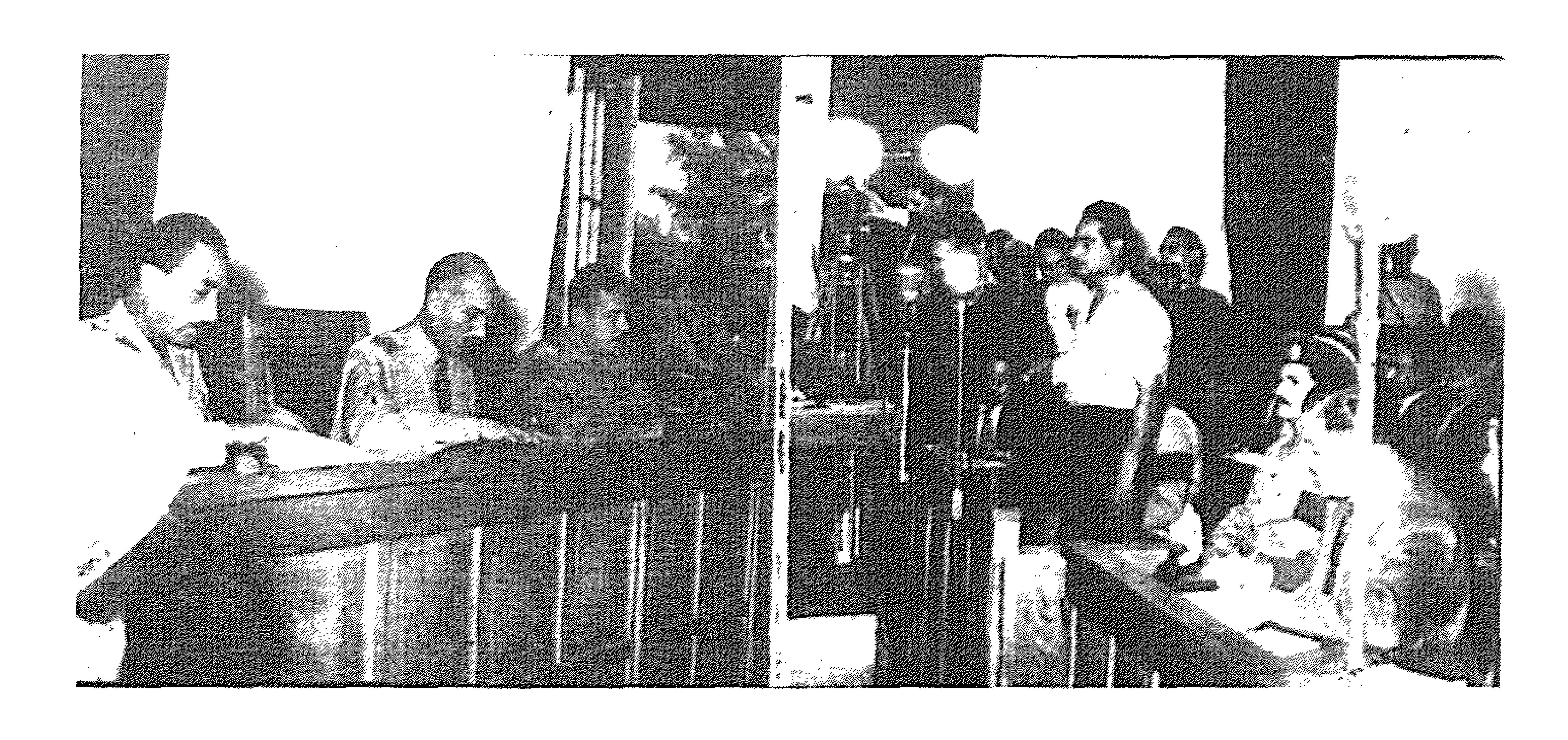
حسن البنا مع عدد من العسكريين المنتمين للجماعة



حسن البنا خطيبًا



جوالة الإخوان



من محاكمات عام ١٩٥٤م



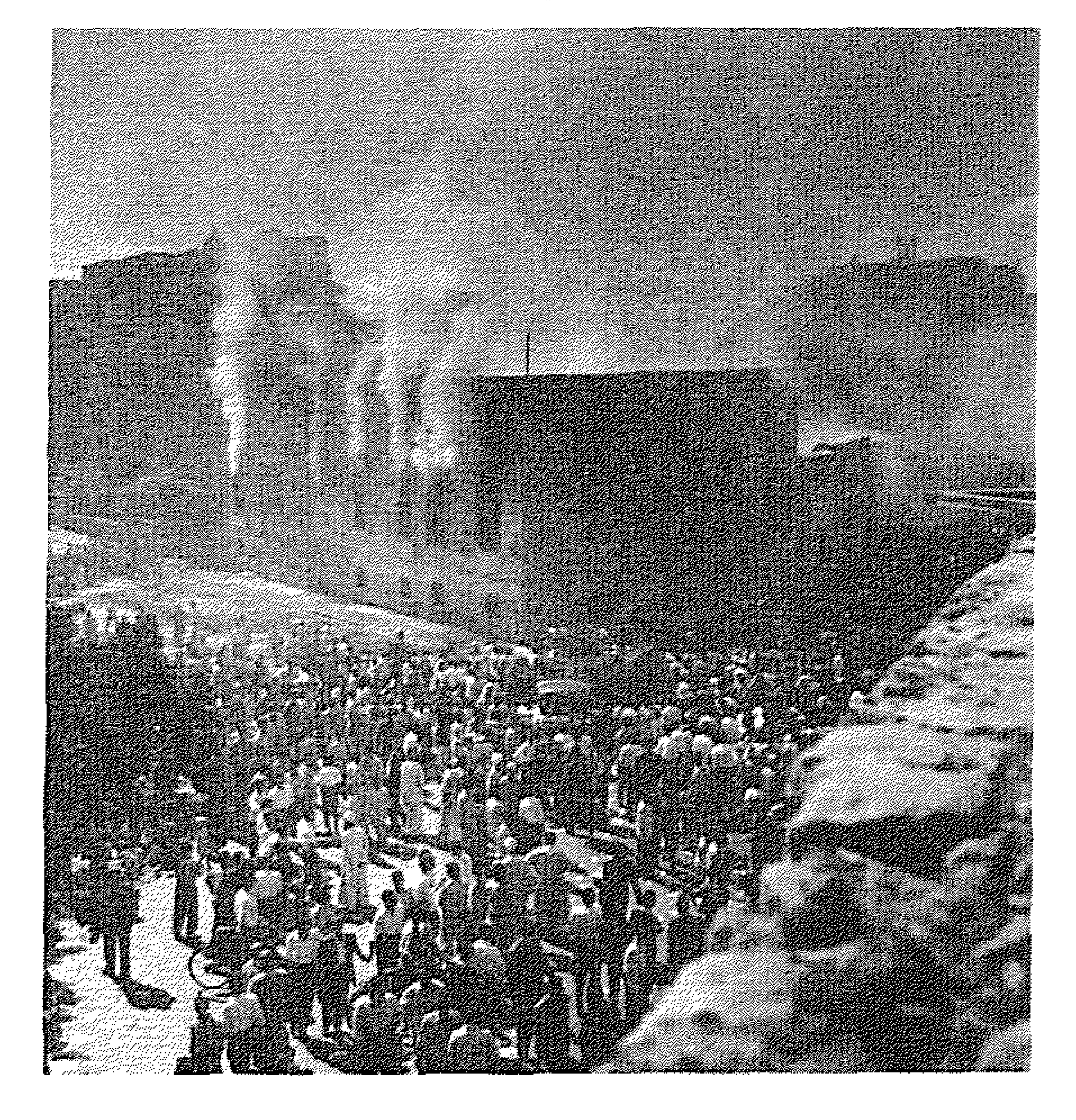
الشهيد عبد الرحيم عبد الحي محمد الذي
استشهد في حرب فلسطين



صورة لبعض متطوعي الإخوان في حرب فلسطين ١٩٤٨ على
جبل الرب جنوب القدس



حسن البنا



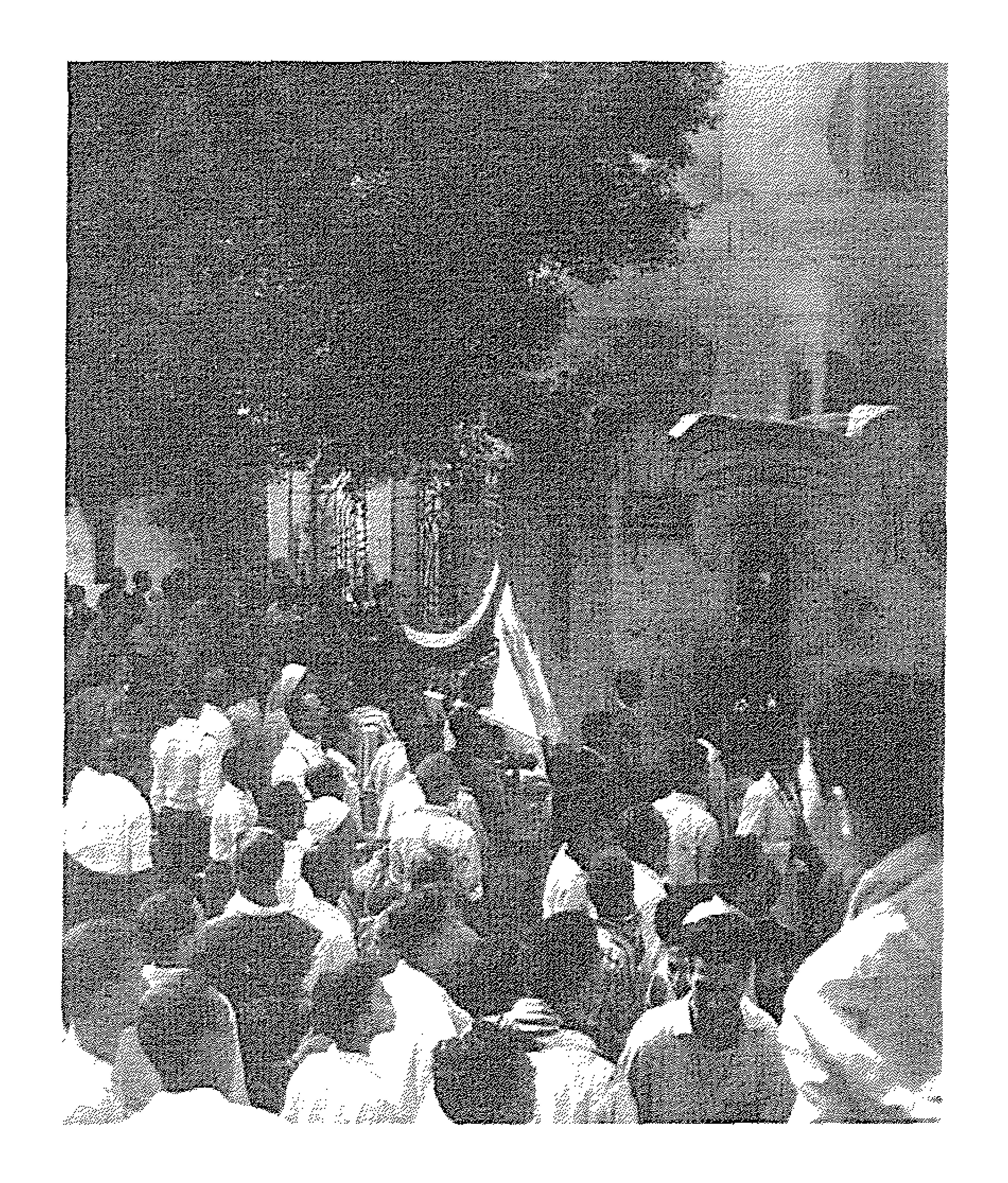
احتراق مركز الإخوان المسلمين القديم



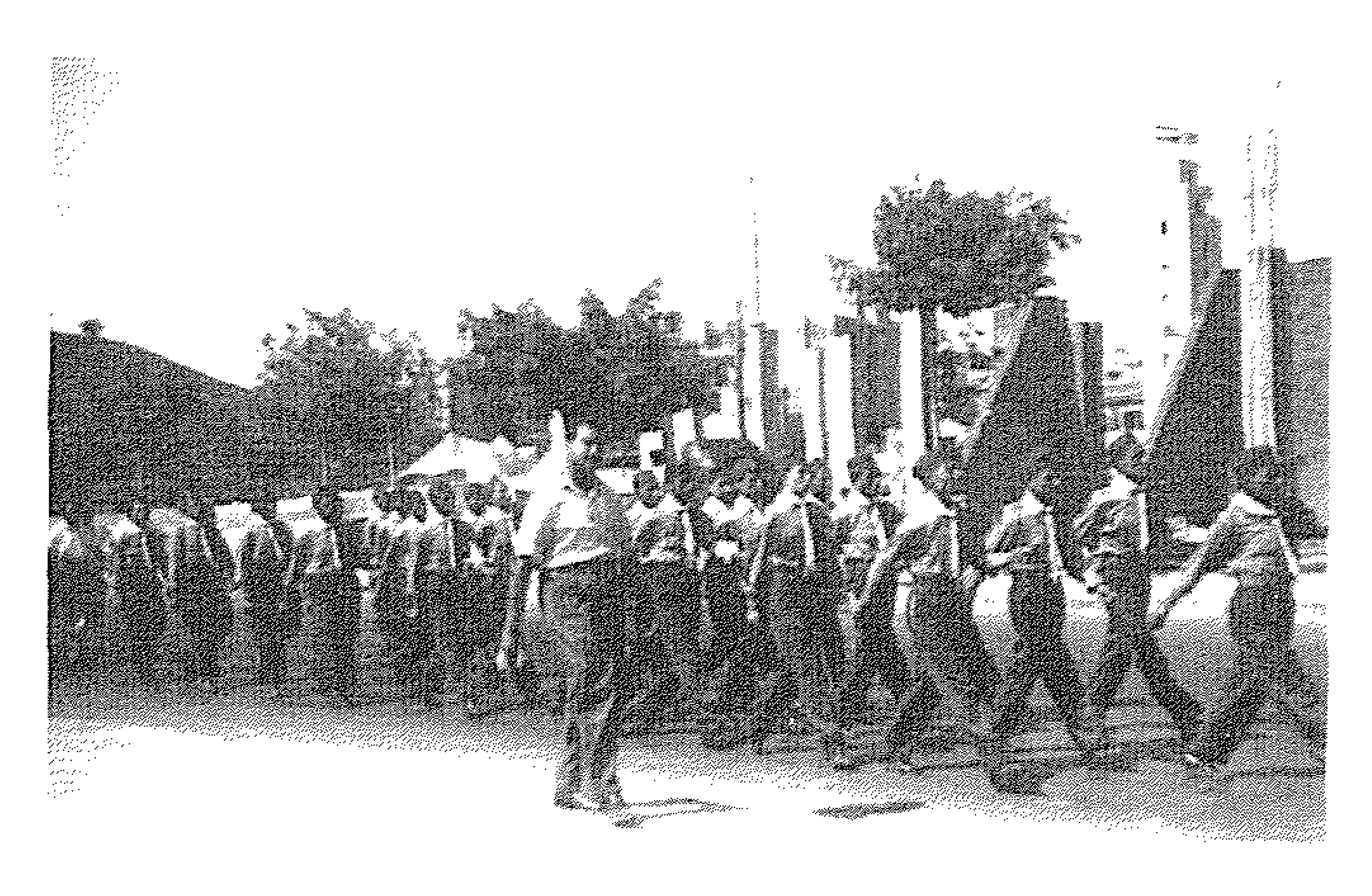
حسن البنا في حفل رياضي



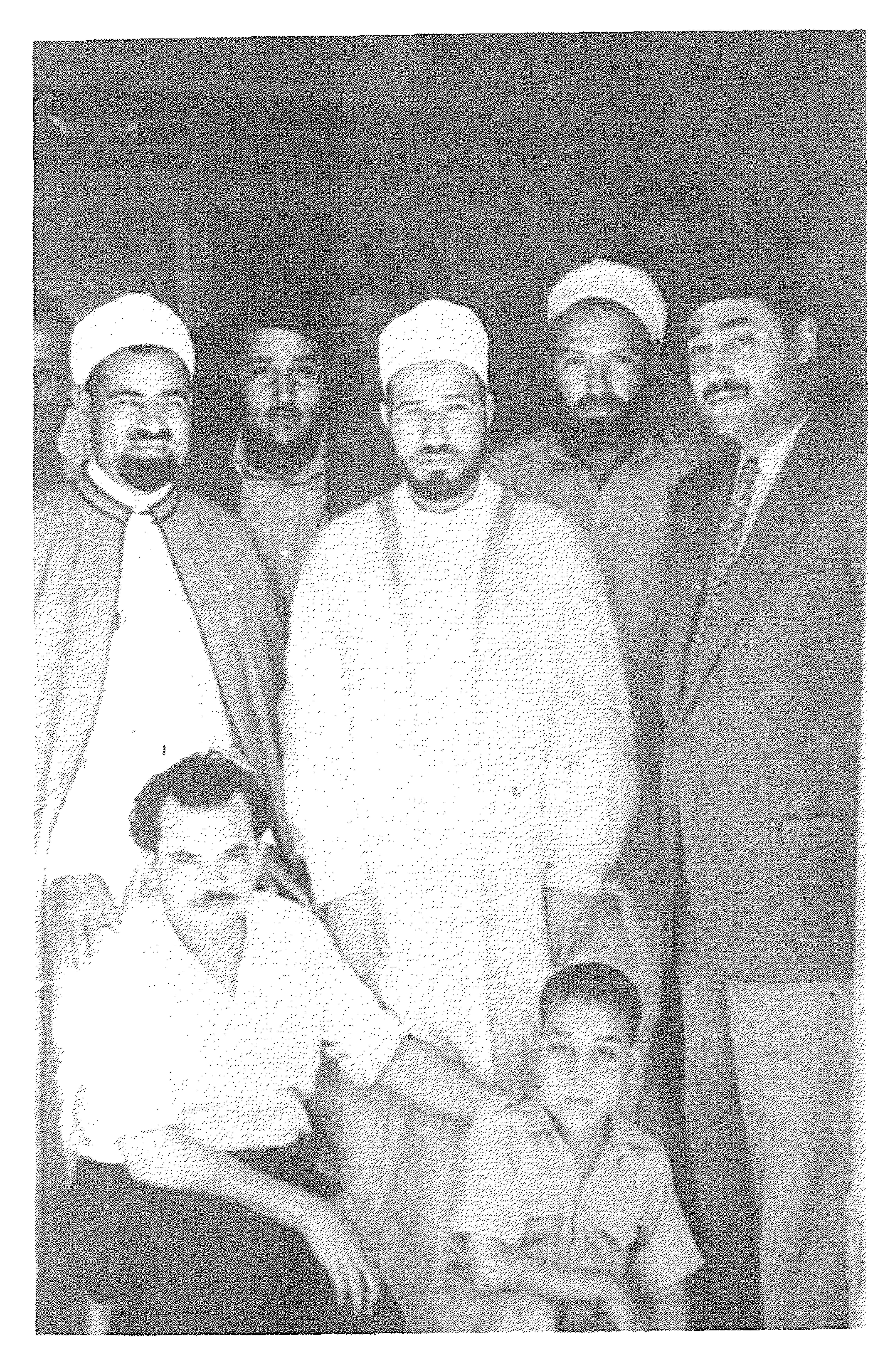
من حفل لجوالة الإخوان



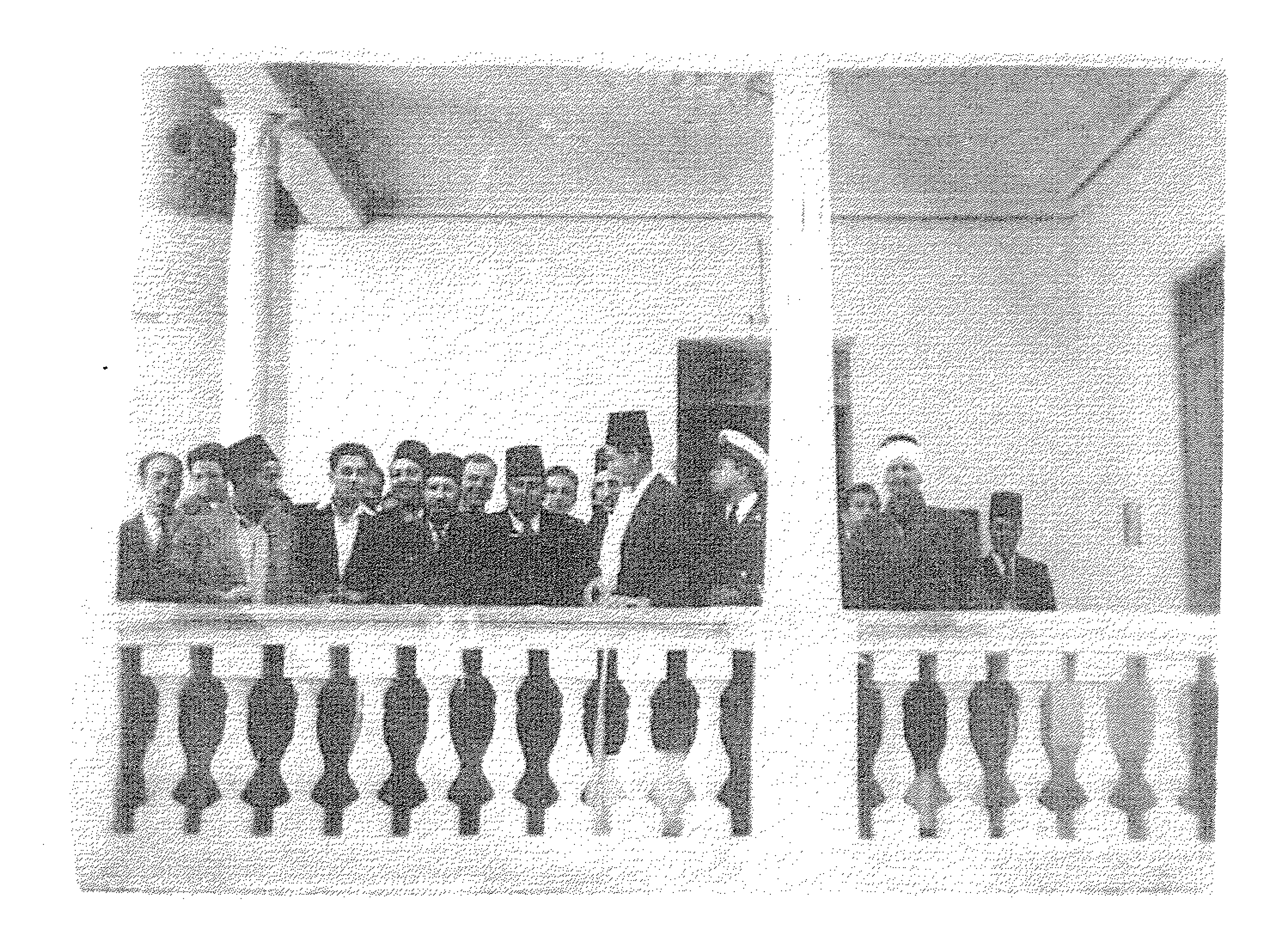
مبنى الإخوان القديم وقت احتراقه



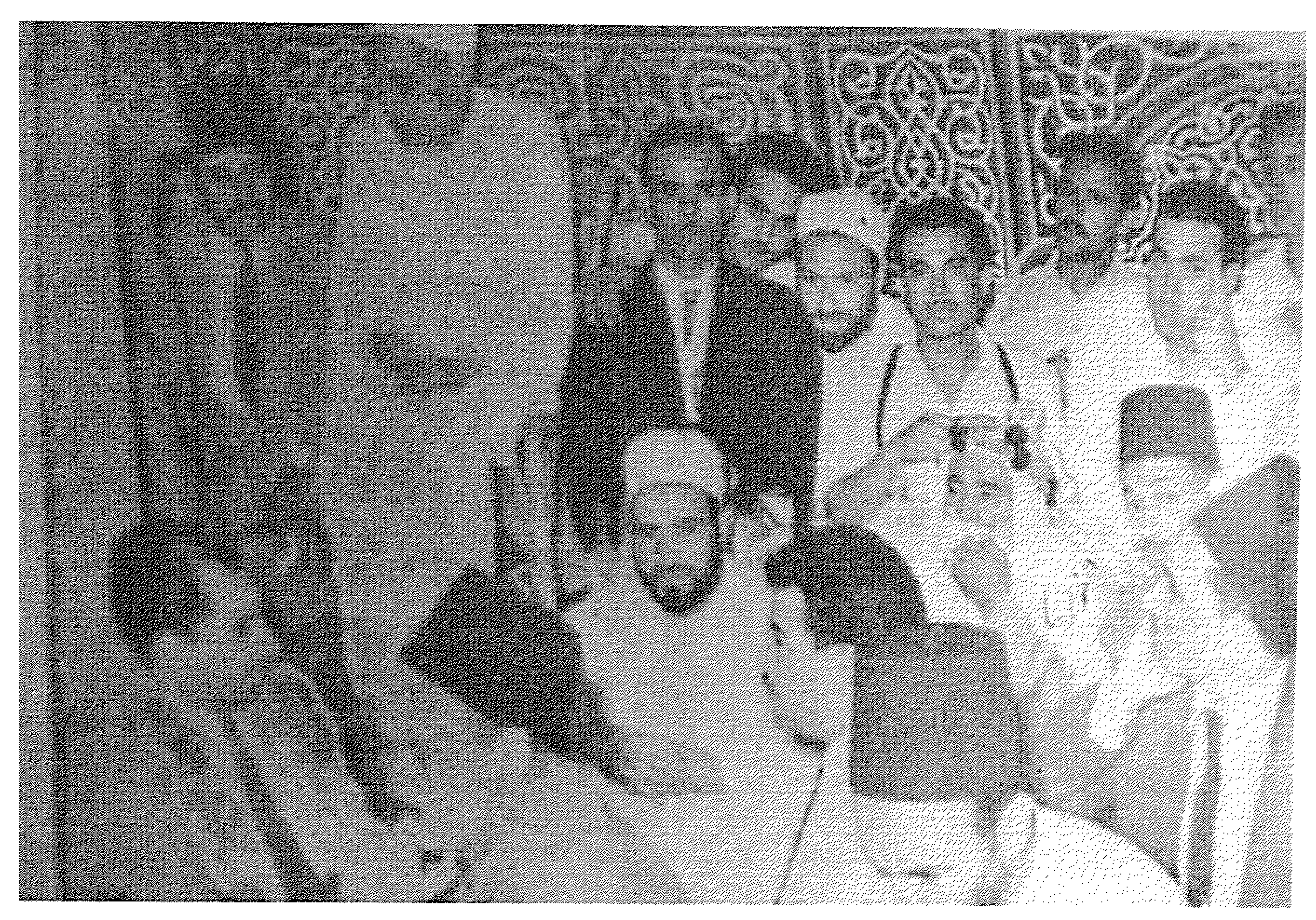
شباب الجوالة في جماعة الإخوان



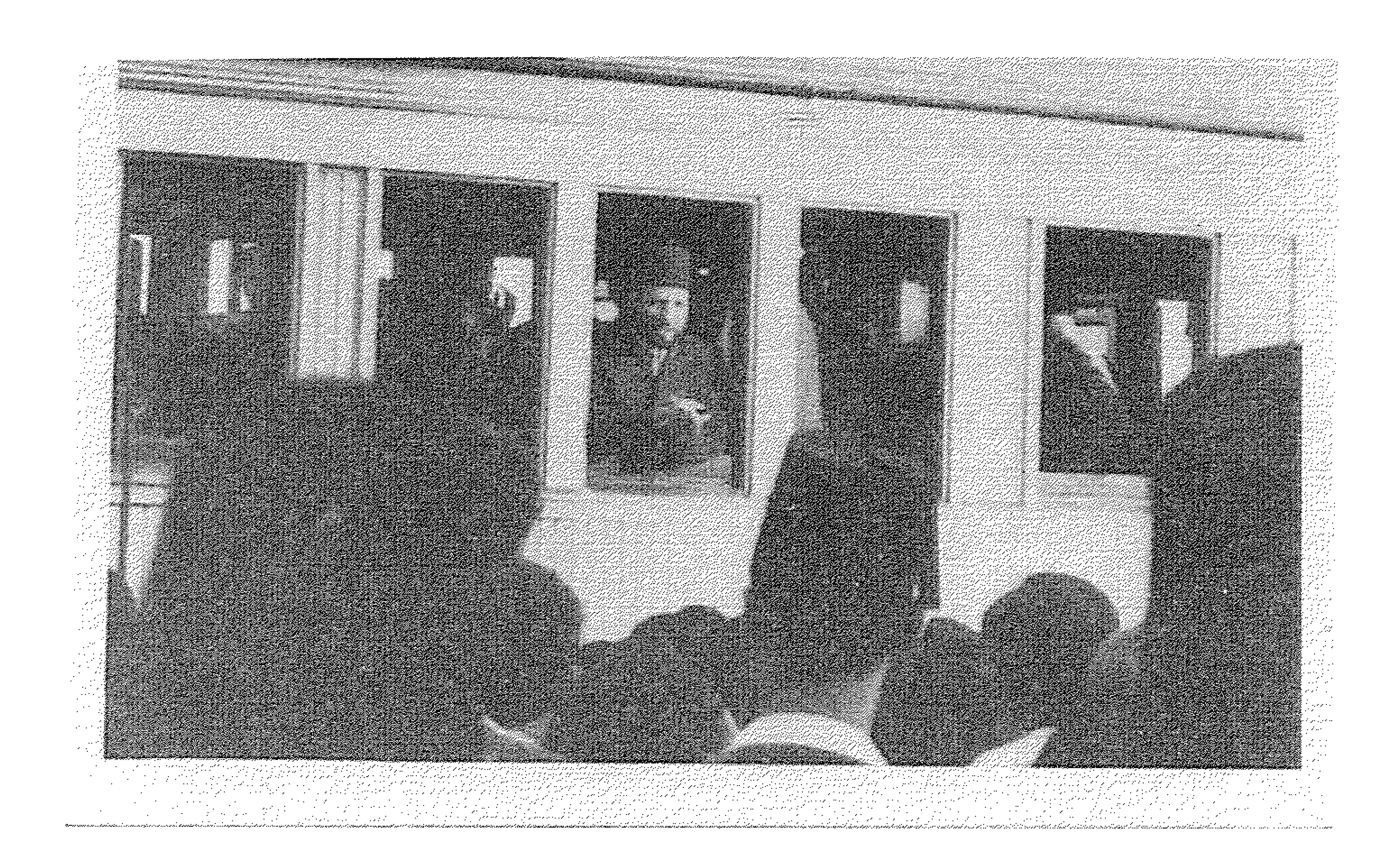
حسن البنا وعن يمينه الشيخ محمد فرغلي



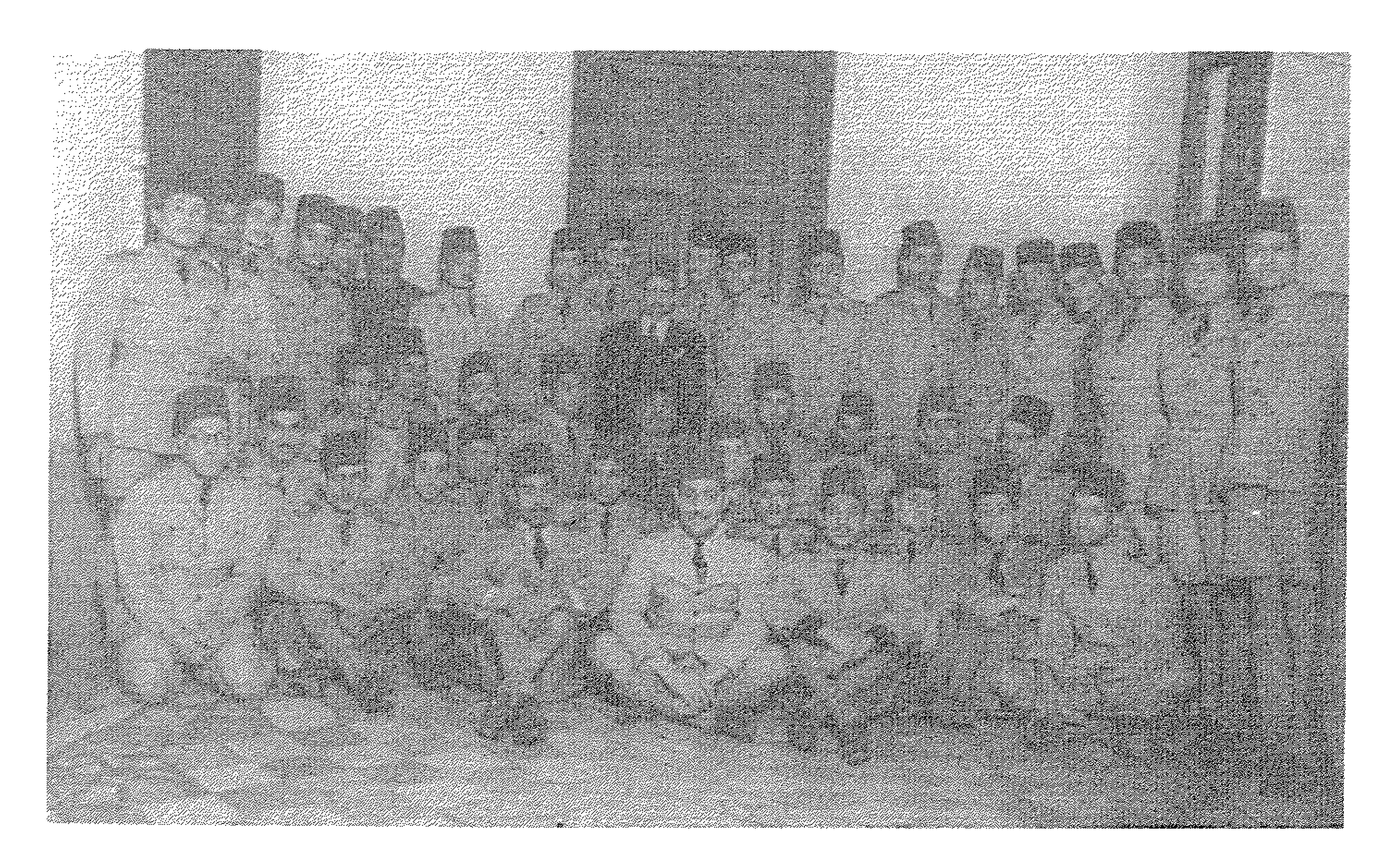
حسن البنا خطيبًا



حسن البنا بين أنصاره



حسن البنا يتحدث من شرفة القطار لعدد من الإخوان الذين كانوا في استقباله على محطة القطار



صورة لبعض العسكريين من الإخوان في مناسبة عقد قران حسين كمال الدين أحد قادة الجماعة



حسن البنا



رحلتي مع الأخوات المسلمات

من الإمام حسن البنا إلى سجون عبد الناصر

السيدة فاطمة عبد الهادي واحدة من مؤسِّسات قسم الأخوات المسلمات وأبرز قادته، كانت ضمن جيل التأسيس الأول للعمل النسوي الإسلامي. وهي زوجة لشخصية بالغة الأهمية رغم عدم شهرتها (محمد يوسف هواش)، ولربما كان أهم شخصيات تنظيم ١٩٦٥ الشهير الذي يُنسب للمفكر الشهير سيد قطب.

والسيدة فاطمة عبد الهادي شاهدة عصر بكل ما تعنيه الكلمة، فهي ممن شاركن في وضع اللبنات الأولى في بناء قسم الأخوات المسلمات؛ ذلك العالم الذي ما زال بعد ثلاثة أرباع القرن مجهولًا في تاريخ الإخوان المسلمين والحركة الإسلامية عمومًا.

وأهم ما يميز شهادتها النادرة أنها تقدم روايتها الخاصة جدًا حتى وهي تحكي عن أحداث ووقائع شكلت تاريخ الإخوان، بل مصر كلها في مرحلة تاريخية بالغة التعقيد، وتروي علاقتها بأشخاص غيّروا مسار التاريخ؛ بعضهم انتهى إلى الموت شنقًا وبعضهم صار رئيسًا للجمهورية.

إنها رواية شاهد عيان وشاهد ملك أحيانًا حين تشارك في الأحداث، وهي لا تلجأ كما فعل آخرون إلى التوسع والمبالغة وربما الخ[illegible] وهي تحكي مأساتها الخاصة ومعاناتها وأسرتها الص[illegible] وابنها الصغيرين اللذَيْن عاشا محنة اعتقال الأم وسجن ال[illegible]لة ثم إعدامه!

6 221102 028103

دار الشروق
www.shorouk.com